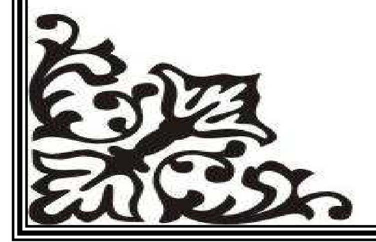


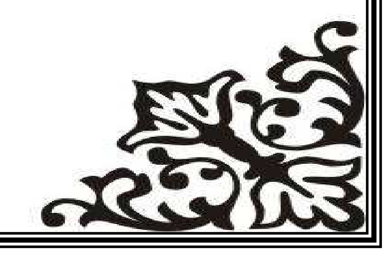
٤٠ خطأ في نظرية التطور

أخطاء لا يريدونك أن تعرفها!!

المؤلف

د/ هيثم طلعت







المقدمة

باسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه؛ وبعد:

منذ أن وضع تشارلز داورين Charles Darwin (١٨٠٩-١٨٨٢) نظريته بشأن تطور الأنواع عبر الانتخاب الطبيعي في كتابه أصل الأنواع On the Origin of Species عام ١٨٥٩، والجدل لم يتوقف يومًا بشأن النظرية[١].

فالنظرية تمثل تحليلاً لغويًا وفلسفيًا وفكريًا جميلاً لظهور الحياة عبر تطور وظيفي للكائنات الحية مع الزمن ينقلها إلى كائناتٍ أخرى!

لكن المشكلة ليست في التحليل اللغوي ولا الضبط الفلسفي وإنما ميدان العلم مشكلته مع البرهان والدليل، لا اللعب بالألفاظ!

ونحن اليوم في العام ٢٠١٧ وقد مضى أكثر من قرن ونصف من الزمان على النظرية، وما زال الجدال قائمًا!

وعلى الرغم من عمل أكاديميات وجامعات عملاقة تحت مظلة البحث في النظرية إلا أن دليلاً واحدًا مباشرًا على انتقال نوع من الكائنات الحية إلى نوعٍ آخر

---

(١)كنت أفكر في الطريقة التي أسرد بها الأربعون خطأً في النظرية، ووجدت أن السرد سيُفقد الكتيب ترتيبه والأفكار الهامة التي يريد إيضاحها، لذا وجدت أن وضع الأخطاء في وسط أبحاث الكتيب أكثر أهمية وإثراءً وإفادة للقاريء.

لم نحصل عليه حتى الساعة، وإلا لكنّا توقفنا عن الجدال ولاستغللنا هذه المساحة من الورقات في شيءٍ آخر نافع ومفيد!

فليس في العلم الرصدي ما يدفع للاعتقاد بمصداقية التطور كنظرية علمية لها أُطرها الميثودولوجية Methodological –الطرائقية–، وليس في البحث الإمبريقي Empirical – التجريبي– ما يعضد موقف التطور ويحسم الجدل بشأنه–فأحد شروط النظرية العلمية أن تكون قابلة للاختبار والتجربة، وفق معايير الإمبريقية التي وضعها فلاسفة العلوم–، لكن مثل هذا البحث التجريبي لا مكان له في نظرية التطور!

وليس في السجل الأحفوري دليل واحد على الإطلاق قائم بذاته يُثبت وقوع التطور، فلا يوجد أب واحد موثق علميًا لل٣ مليون نوع من الكائنات الحية على وجه الأرض الآن.

لكن يا ترى بماذا يحتج دعاة التطور؟

أصل أدلة دعاة النظرية تقوم على مغالطة الاستدلال الدائري: بما أنه يوجد كائنان متشابهان إلى حدٍ بعيد في الشكل المورفولوجي Morphology –الإطار الشكلي والبنائي– والتشريحي والوظيفي إذن لهما أبٍ واحد common archetype، هذا أصل مغالطة الإستدلال الدائري، لكن الأصل عند المناطقة رصد التفريع من الأب أولاً، أما ما يحدث هنا فهو استدلال دائري وفلسفة تأويلية افتراضية.

وكما يقول البيولوجي والملحد السابق جوناثان ويلز Jonathan Wells:
"هل تشابه السحاب والآيس كريم يعني أن لهما سلف مُشترك ؟"

لكن هنا قد يحتج أحد التطوريين ويقول: "التطور عملية بطيئة تتطلب آلاف السنين".

حسناً: لكن نحن عندنا أكثر من ثلاثة ملايين نوع من الكائنات الحية المستقلة هذا بخلاف المنقرضة، وبحساب عدد الأنواع على المعدل الزمني لظهورها، ستكون النتيجة أنه لابد أن يظهر كائنٌ حيٌ مستقلٌ جديدٌ كلَّ بضعة أيام، وآلاف الكائنات المتحورة كل ساعة، هذا في الرصد التجريبي المباشر، ونفس الكلام يُقال عن الرصد الأحفوري؛ فما الحال ونحن لا نعرف إلى الآن أبًا واحدًا مباشرًا لأي كائن حي على وجه الأرض سوى التخمينات والظنون، ولم نرصد أي تطور نوعي على الإطلاق حتى الساعة!

فضلاً عن أننا لا نعرف الأب المباشر للإنسان مع أنه أعظم الكائنات وأرقاها وأقدرها على البقاء، ولا يتفوق عليه إلا الإنسان المُعاصر!

قد يظن البعض أن الجدال بشأن النظرية هي جدال ديني – علمي، وهذا خطأ محض!

فالجدال في الأساس هو بين نظرية التطور وبين العلم المادي التجريبي.

بل يمكننا أن نقول أن دعاة النظرية هم الذين يعانون من المشكلة، وإلا فما الذي يدعوهم إلى الاطمئنان على شعبية النظرية كل فينة والأخرى إلا لو كان الأمر خارج دائرة الرصد العلمي؟

لكن من العدل أنْ نقولَ أنَّ علماء الأحافير قد شغلوا أنفسهم بجهودٍ ملحمية لاكتشاف الروابط المفقودة باحثين في آلاف السفوح الرسوبية وفي أطنان الصخور

الصلبة (ليس فقط الأحجار الرملية أو الصخور الطينية بل حتى في صخور الكوارتز التي تحتاج لتقطيعها إلى شرائح رقيقة).

فندرةَ الأحافير الانتقالية لا يعود لنقصٍ متأصلٍ في السجل الأحفوري، ولا إلى قلّة الجهود المبذولة لاكتشافه.

بل من المدهش أن خلاصة استنتاجات النظرية أنها لا تملك الدليل إلَّا من غياب الدليل الأحفوري الذي وضعت النظرية من أجل تفسيره[١].

فنظرية التطور باختصار هي: أمل يكافح بقوة ضد البيانات التجريبية والرصدية.

ولم يعد الهجوم على نظرية التطور مِن قِبل المناوئين للنظرية كما يبدو –وكما يزعم الملاحدة– وإنما مِن قِبل المنتظمين في سِلكها أيضًا.

في عام ١٩٨٥ كتب الملحد اللاأدري الشهير أستاذ الوراثة مايكل دانتون كتابه: "التطور نظرية في أزمة".

وقام دانتون برصد إشكالات حقيقية تواجه النظرية مثل أن: أنواع الكائنات الحية تتعايش في استقلالية تامة وتفصل بينها برازخ حقيقية.

وبعد ثلاثين عامًا من الكتاب وتحديدًا في عام ٢٠١٥ كتب كتابه الثاني: "التطور نظرية ما تزال في أزمة"

---

(١) تصميم الحياة، د.ويليام ديمبسكي ود.جوناثان ويلز، ترجمة د.مؤمن الحسن وآخرين، دار الكاتب ص١١٦.

وأوضح أن الإشكالات زادت والتعقيدات التي تواجهها النظرية أصبحت على أبعادٍ أخرى.

فأبحاث الإيفو ديفو الجديدة - علم الأحياء النمائي التطوري Evolutionary developmental biology - أثبتت أن النظرية تعاني من مشاكل حقيقية جذرية في عمقها.

وأبحاث الإيفو ديفو تختص بدراسة تطور الأعضاء داخل الكائن الحي، وقد تبين من هذه الأبحاث أن النظرية ما زالت حلمًا يداعب دعاتها وليست حقيقة علمية رصدية محترمة يمكن التحقق منها بالتجربة والرصد المُعتبرين، فظهور الريش المفاجيء وظهور اليدين المفاجيء وظهور الغدد الثديية المفاجيء وظهور الشعر المفاجيء وظهور المشيمة المفاجيء وظهور الأزهار مغلفة البذور المفاجيء وظهور المشيمة المفاجيء وظهور مخطط الجسم المفاجيء وغيرها الكثير مما رصدته أبحاث الإيفو ديفو يجعل من النظرية وهمًا كبيرًا، لولا تمسك دعاة المادية بتلابيبها كونها الأمل الوحيد في وجه الإيمان بالخلق الإلهي المباشر!

لقد تلقت النظرية كمًا غير اعتيادي من التهكمات مِن قبل أكبر دعاتها ومؤسسيها بسبب تلك الكشوف، فهذا ستيفن جاي جولد صاحب أكبر المصنفات وأشهرها في تأييد النظرية طوال حياته، وهو عالم البيولوجيا والملحد

اللاأدري وأحد أبرز علماء النظرية عبر القرن العشرين يقرر في نهاية حياته أن الداروينية عبارة عن مجموعة من القصص الطفولية[١].

ووصف مشكلة الغياب التام للأشكال الانتقالية بين أنواع الكائنات الحية على أنه: "سر الصنعة" الخلْقية[٢].

وهي نفس النتيجة التي توّصل إليها الداروينيَيْن الملحدَين جيري فودور Jerry Fodor وماسيمو بياتيلي بالماريني Massimo Piattelli-Palmarini، حيث لم يجدا بدًا من تخطئة داروين رأساً، وصنَّفا في تهافت نظرية التطور كتابهما: "الأمر الذي أخطأ فيه داروين What Darwin Got Wrong" وكان مما صدّرا به كتابهما ما يلي: "هذا ليس كتاباً عن الله، ولا عن التصميم الذكي، ولا عن الخلق. ليس أياً من أحدنا متورطٌ في شيءٍ من ذلك. لقد ارتأينا أنه من المستحسن أن نوضح هذا منذ البداية، لأن رأينا الأساسي فيما سيأتي يقضي بأن هناك خطأ ما - وربما خطأ لدرجة قاتلة - في نظرية الانتخاب الطبيعي"[٣].

أما أستاذ التطور والتنوع البيولوجي بجامعة كنساس إدوارد وايلي Edward O. Wiley فيصف الورطة التي تعاني منها النظرية بشأن ظهور

---

(١) ذكر هذه الكلمة في مقدمته لكتاب: Bjorn Kurten, dance of the Tiger: a of the Ice Age Novel.

(٢) Stephen Jay Gould, Evolution’s Erratic Pace, Natural History ٨٦, no٥, ١٩٧٧, ١٢-١٦.

(٣)Fodor, J. & Piattelli Palmarini, M. (٢٠١١) What Darwin Got Wrong, p.١٥.

الأنواع – الإنتواع speciation – كما يلي: "لقد قُتِلت هذه العملية -أي: الانتواع- بحثا، والحق أنَّ إشكالَ ما هو النوع، وإشكال كيف ظهرت الأنواع، بعيدان عن الحل"(١).

إن الراصد المنصف للواقع التطوري المعاصر يتبين له حقيقة الاستياء العام المنتشر لدى التطوريين من إثبات تطور كبير عبر تطوراتٍ صغيرة!

والذي ينكر حقيقة أن التيار العام للبيولوجيا التطورية يظهر لديه مجموعة متنامية من المعارضين يكون إنكاره بمثابة تجديف ضد التيار!

فعندما تقضي عقودًا طويلة وتحفر آلاف الأطنان من الصخور من عصور الأرض المختلفة، وما زلت تعاني من عدم وجود أحافير وسيطة في أصل الاختلاف بين أنواع الكائنات الحية فالتصرف اللائق أن تتعامل مع هذا الملف – ملف نظرية التطور– كقضية تخيلية وليس كحقيقة علمية تحاول فرضها علينا.

فلا توجد أحفورة وسيطة بين زعنفة السمكة والطرف رباعي الأرجل.

لا توجد أحفورة وسيطة بين حرشفة زاحف وريشة طائر.

لا توجد أحفورة وسيطة بين مخروط الصنوبر وزهرة مغلقة البذور.

يقول الملحد اللاأدري الشهير مايكل دانتون Michael John Denton عالم الكيمياء الحيوية البريطاني: "إن كل نوع من الأحياء يُعَد -على المستوى الجزيئي- فريداً ووحيداً وغير مرتبط بوسطاء. ومن ثَم فقد عجزت الجزيئات – شأنها شأن المتحجرات- عن تقديم الوسطاء الذين يبحث عنهم علماء الأحياء

---

(١)Wiley, E.O. (١٩٩٢) the Evolutionary Species Concept Reconsidered, p.٧٩.

من دعاة التطور منذ زمنٍ طويل؛ فعلى المستوى الجزيئي، لا يوجد كائن هو جد مشترك أعلى أو كائن بدائي أو راقٍ مقارنةً بأقربائه... ولا يكاد يوجد شك في أنه لو كان هذا الدليل الجزيئي متاحاً قبل قرنٍ من اليوم فربما لم تكن فكرة التطور العضوي لتجد أي قبول على الإطلاق"[١].

إن عالم الكائنات الحية لو كان عالما داروينيا كما يقولون لك فأنت أمام مزيج عشوائي فوضوي من الطرز ومليارات الكائنات المشوهة غير المكتملة مع آحاد الكائنات المكتملة، لكن العكس هو الحاصل دوما.

في الاحتفالية بمناسبة مرور مائة عام على أصل الأنواع قدّم عميد الداروينية إرنست ماير ورقة علمية محكمة يقرر فيها نشوء الصفات المستجدة التطورية فجأة[٢].

وبعد حقبة إرنست ماير كانت النظرية على أعتاب كشوف جديدة تؤكد ورقة إرنست ماير ألا وهي كشوف الإيفو ديفو التي تحدثنا عنها سابقًا، فطبقا للإيفو ديفو أصبحت مسألة نشوء الصفات المستجدة فجأة، إحدى الحقائق الأولية في البيولوجيا بدءًا من الصفات الشكلية المورفولوجية إلى الصفات السلوكية إلى الصفات الجزيئية، فكل شيء هنا يظهر فجأة![٣]

---

(١) Theory in Crisis, p.٢٩٠-٢٩١

(٢) Ernest Mayr, the Emergence of Evolutionary Novelties, In S. Tax, ed., evolution after Darwin, vol١ p.٣٤٩-٣٨٠

(٣) Pigliucci, “What, if Anything, Is an Evolutionary Novelty?”.

مشكلة التطور أنه إلى اليوم لا يملك نموذجًا واحدًا مفصلا لظهور جزيء وظيفي واحد داخل الخلية، فضلاً عن تفسير ظهور خلية واحدة طبقًا لآليات الانتخاب الطبيعي أو الطفرات العشوائية، فضلاً عن ظهور نوع جديد من الكائنات الحية!

يقول عالم البيولوجيا التطورية والوراثة السكانية الأمريكي الشهير ويليام بروفاين Provine: "الانتخاب الطبيعي لا يعمل على أي شيء. فلا هو ينتخبُ لصالح شيء أو ضده، ولا هو يقهر، ولا يُكثّر، ولا يخلق، ولا يعدّل، ولا يُشكّل، ولا يشغّل، ولا يقود، ولا يصطفي، ولا يحافظ على شيء ما، ولا يدفَع، ولا يكيّف. الانتخاب الطبيعي لا يقومُ بشيء" [(١)].

ففكرة وجود نموذج واحد مفصل لظهور عضو وظيفي بالتطور أو حتى جزيء وظيفي بالتطور مجرد وهم علمي لا أكثر!

كل ما يمتلكه دعاة النظرية خيال واسع وفروض عقلية وتخمينات فلسفية!

ومن أمثلة ذلك أنك لو قلت للتطوري كيف ظهرت مثلاً العين البشرية المعقدة فإنه سيخبرك أن هناك عيونًا أقل تعقيدًا وهناك خلايا حساسة للضوء فقط.

وهذا الجواب هو لُب الإشكال التطوري!

فما معنى خلية حساسة للضوء؟

---

(١) Provine, W.B. (٢٠٠١) the Origins of Theoretical Population Genetics, p.١٩٩.

ولماذا تحسست للضوء؟

وكيف يتحول التحسس للضوء إلى نبضات كهربية؟

وكيف تتحول النبضة الكهربية إلى وعي ورؤية لما أمامك؟

إن القضية منقوصة من البدء!

وهذا شبيه بقولك لنفس التطوري: هل تستطيع الطبيعة أن تُنشيء صينية كنافة طازجة بالجبن الكريمي؟

سيقول لك التطوري بنفس منطقه ورؤيته: هذا بسيط جداً فالقمح موجود في الطبيعة وسقوط النيازك قد يتسبب في طحن القمح في أحد الأزمنة السحيقة ليتحول إلى دقيق، ومع قليل من المطر يتحول الدقيق إلى عجين، وعلى طرف أحد صخور الأفران البركانية سيكون مكانًا رائعًا للطهي السريع، وقصب السكر موجود في كل مكان لإضافة مذاق الكنافة وينابيع الماء الساخن كثيرة لإذابة قصب السكر و ....

إلى هنا قد تشعر بسخافة الطرح فالقضية ليست في توافر المواد الأولية، وإنما القضية في المعرفة the Know How التي تنتج صينية الكنافة بالجبن الكريمي!

فأنت لو انتظرت ملايين الأعوام لن تتشكل صينية كنافة واحدة لأن القضية معرفة Know How وليس موادًا أولية.

القضية منقوصة أصلاً من البدء.

وافتراض أن وجود المواد الأولية كافٍ هو افتراض قد يصلح للأطفال قبل النوم، لكنه لا يصلح كمعطى علمي يُرصد!

كذلك الحياة لا يمكن تحليلها في إطار الرؤية المادية التطورية، لأن معنى الحياة شيء مستقل عن الوجود المادي بأكمله.

كذلك الوظائف البيولوجية كذلك الأنظمة المعقدة داخل كل كائن حي!

التطور لا يفسر شيئًا إلا بنفس مستوى تحليل ظهور صينية الكنافة.

إن التطوري يضيف أنظمة معقدة إلى أنظمة معقدة ويسمي هذا تفسيرًا.

كل ما يفعله التطوري أنه يُفكك في عقله أجزاء النظام البيولوجي الذي أمامه، ثم يقوم بإعادة تجميعه من أماكن مختلفة. وكأننا نلعب لعبة البازل Puzzle Games.

والمشكلة الأكبر أن أسلاف الجزيئات الحيوية في المنظومة التطورية هي أسلاف تخيلية لا أسلاف مادية كما يتصور البعض!

فالتطوريون أشبه ما يكون بمن يزعم أن البندقية هي سلف تطوري لمصيدة الفئران لمجرد اشتراكهما بنجاح في التخلص من الفأر!

فنظرية التطور تحمل الكثير من الأحلام والأفكار الخلابة لكنها في النهاية لا تصلح إلا لدغدغة خيالات مراهق!

فالخيال خصب.

وموهبة توليد الحكايا قد يمتلكها البعض.

لكن على المستوى الجزيئي كل التفاصيل مهمة ونقطة نيوكليوتيدية واحدة – لبنة تكوين البروتين- تفسد نظام يتكون من مليون نيوكلويتيدة، وأنت بداخل

كل خلية من خلاياك يوجد ثلاثة مليارات نيوكليوتيدة، كل بضعة آلاف منها تؤدي وظيفة حياتية متقنة.

فلا تحاول تغطية إعجاز بيوكيميائي مذهل في كل جزئية داخل خلاياك بحيل لغوية.

أيضًا كل كائن حي مهما كان صغره يتمتع بما دبّره الله له من أمر معاشه ليتعامل مع بيئته.

فمثلاً نموذج الخنفساءُ المِدْفَعيَّةُ الذي طرحه عالم الكيمياء الحيوية مايكل بيهي في كتابه: "صندوق داروين الأسود" يوضح كيف أن تعقيدًا مدهشًا يمتلكه كل كائن لا يمكن أن يُفكك هذا التعقيد بطريقة صينية الكنافة سابقة الذكر.

ودعونا نلقي نظرة على نوع هذا التعقيد بالتفصيل الذي سرده الكاتب: "الخنفساء المدفعية هي عبارةٌ عنْ حشرةٍ ذاتِ مظْهَرٍ بسيطٍ يُقاربُ طولُها الواحدَ ونصْف بوصة. عندما تُهدّد من قِبَلِ حشرةٍ أخرى فإنَّ للخنفساءِ طريقةً خاصَّةً للدفاع عن نفْسِها وهي رش محلول ساخن مغليٍّ على العدُوِّ مِنْ ثُقْبٍ موجودٍ في القسم الخلفي للخنفساء، يحرقُ السائلُ الساخنُ الحشرَةَ المستهدفةَ مِمَّا يغيِّرُ عادةً من الخطط المعدّة للعشاء؛ لكنْ كيف تُحاكُ هذه الحيلة؟

تبيَّنَ أنَّ الخنفساءَ المدفعيةَ تستخدمُ الكيمياء. فقبْلَ المعركةِ تصْنَعُ بُنًى متخصصةٌ تُدْعى (الفصوص الإفرازية) مزيجًا مركزًا جدًّا من مادَّتَيْن كيميائيَّتَيْن هما (بيروكسيد الهيدروجين والهيدروكينون). بيروكسيد الهيدروجين هو المادةُ ذاتُها التي نسْتطيعُ شراءَها من الصيدلية –ماء الأوكسجين–، أمَّا الهيدروكينون

فيستخْدمُ في التحميض الفوتوغرافي. يُرسل المزيجُ إلى حجرة تخزين تُدعى الحويصلة الجامعة.

تتصل الحويصلةُ الجامعةُ بحجرة ثانية ولكنها معزولة عنها عادةً تُدعى حجرة التفجير.

تبقى الحجرتان منفصلتان عن بعضيْهما بواسطةِ قناةٍ ذاتِ عضلة عاصرة.

وتتَّصِلُ بحجرة التفجير العديدُ من العُقَدِ الصغيرةِ، والتي تفرز إنزيمًا محفزًا إلى حجرة التفجير.

عندما تشْعُرُ الخنفساءُ بالتهديد فإنَّها تعْتَصر العضلاتِ المحيطةَ بحجرة التخزين بينما وبشكل متزامن ترخي العضلة العاصرة. مما يُجْبرُ محلولَ بيروكسيد الهيدروجين والهيدروكينون على دخول حجرة التفجير، حيث يمتزجُ المحلولُ مع الأنزيم المحفز.

ستصبح الأمورُ الآن مثيرةً للاهتمام من الناحية الكيميائية. يتفكَّكُ بيروكسيد الهيدروجين بشكْلٍ سريعٍ إلى ماءٍ عاديٍّ وأكسجين كما هو الحال تمامًا بالنسبة لزجاجة بيروكسيد الهيدروجين التي تُباع في المتاجر والتي سوف تتفكك مع مرور الوقت إذا تُركتْ مفتوحة.

يتفاعل الأكسجين مع الهيدروكينون مانحًا المزيدَ من الماء بالإضافة إلى مادة كيميائية مهيجة بشدة تُدعى كينون.

تُحرر هذه التفاعلات كميةً كبيرةً من الحرارة ومن ثَمَّ تَرْتفعُ درجةُ حرارة المحلول إلى نقطة الغليان. الآن وعِنْدَ إغلاقِ العضلة العاصرة تسْمحُ قناةٌ وحيدةٌ مؤديةٌ إلى خارج جسم الخنفساء للمزيج المغلي بالخروج.

كما تسمح عضلاتٌ محيطةٌ بالقناة بتوجيه نافورةِ البخار على مصدر الخطر.

وتكونُ النتيجةُ النهائيةُ هي إحراقُ عدُوِّ الخنفساء بواسطة محلولٍ بخاريٍّ من المادة الكيميائية السامة الكينون"[١].

هذا نموذج من آلاف النماذج المعقدة التي تمتلكها الخنفساء والتي يمتلك أضعاف أضعافها الكائنات الحية.

ومَن هذا الذي بإمكانه حصر نعم الله في خلقه؟

ومَن هذا الذي بإمكانه رصد عجائب الخلق؟

لكن لمحة تغني عن سرد، وومضة تُنبيء بوجود نجم!

لكن هنا قد يقول أحد التطوريون: لنفترض أن نظرية التطور وهم وخداع وكذب، فما هو البديل؟

مشكلة دعاة التطور أنهم يرفضون مسألة الخلق الإلهي لمجرد كونها غيب، والغيب لا يمكن رصده داخل المعمل، لكنهم في المقابل يُسلمون بالفرض الخاطيء!

هل مجرد عدم معرفتك بالبديل تستسلم لفرض خاطيء؟

---

(١) صندوق داروين الأسود، تأليف: د.مايكل بيهي، ترجمة: د. مؤمن الحسن وآخرون، دار الكاتب للنشر، ص٥١.

فالتطوريون مثل مجموعة من المنقبين عن كنز من الذهب ويبحثون ليل نهار في طبقات الأرض المختلفة ويحفرون ويكسرون أطنان الصخور والكوارتز ويجرفون رمالاً لا حصر لها، مع أن هناك قبو مكتوب عليه "الصنع الإلهي المتقن" أمام أعينهم كل لحظة، لكنهم يتجاهلون هذا القبو لأنهم ينطلقون من مقدمة أن منجم الذهب لابد أن يكون تحت الأرض!

إن مقدمة الخلق الإلهي المتقن هي معطى مادي نابع من تدّبر أنظمة الحياة ذاتها.

إنها معطى منطقي وعقلي وعلمي واستدلالي بديهي نرصده من خلال تبّصر الأنظمة البيولوجية المعقدة والحياة ذاتها، والبنى الخلوية والدقائق الوظيفية والمهام الحياتية والوعي والإدراك والتنسيق الهرموني، وما لا حصر له من الوظيفيات التي نتمتع بها، إن محاولة إغماض العين عن القبو والاستمرار في الحفر هي ضرر شديد على العلم وتأخير لفروع كبيرة من العلم وتضييع لمنافع كان أولى أن نستخدمها في منحىً آخر!

ولا يكتفي هؤلاء بكل هذا العناء بلا نتيجة، بل إنهم يضطرون إلى افتراض عدم التصميم لأن هذه أحد مسلمات نظرية التطور، وهذا بذاته معضلة علمية تقضي على العلم، فاعتبارك عدم التصميم في عضو من الأعضاء هذا يعني أنك لن تبحث أكثر، فما معنى أن تبحث عن وظيفة هذا العضو واحتمالية كبرى أن يكون موجود بلا هدف؟

ما معنى أن تتبحر داخل تجاويف الخلية وأنت تجزم أن القضية هراء وعبث وأخطاء طبيعة ونفايات نجمية ورماد بركاني ووحل بيولوجي أنتجا كل صور الحياة حولك؟

إن تصور عدم التصميم يقضي على أي أملٍ في تفسير العالم، ويسمم العلم والبحث والتجربة!

ويجعل الرصد والبحث سخف لا طائل ورائه، فلو اكتشفت فائدة لعضو ستظل بقية الأعضاء بلا فائدة!

لكن في واقع الأمر

وبعيدًا عن هذا التشاؤم...

وانتقالاً عن هذه الفروض الإلحادية السخيفة إلى الواقع الرصدي البيولوجي العلمي الحقيقي فإن لكل منظومة بيولوجية مهما كان صغرها وظيفة وغاية وهدف، ويسارع العلماء في فتح كشوف كل بنية دون خلوية لرصد عجائب صنعها ودقة وظيفيتها ثم ينالون الجوائز بناءً على ما توصلوا إليه من عجيب ما أودع الله في خلقه!

والمتدبر في شأن الخلق يجد أنه لا تخلو منظومة على الإطلاق من قدرٍ من التعقيد، وهنا يجبُ على العقل العملُ مع الدليل المتوافر -الخلق الإلهي-، فهو الطريق الأقصر والأنسب لتحليل ظاهرة التعقيد!

فليس من العقل في شيءٍ الاحتكام إلى أسباب مادية غير معروفةٍ أو طرق غير مكتشفة لمنع تقسير الظاهرة في إطارها الدلالي على الخالق.

إنّ هذا محض تحكم لا أكثر، وتعطيل لوظيفة العقل، وإذا كنّا عند هذه المرحلة ومع هذه المعطيات الساطعة نعاند الإيمان بالخالق فعند أي مرحلةٍ نُسَّلِّم له؟

وتحت أي بندٍ نخلع عن أنفسنا ربقة الكفر به؟

هل عند خلو المُعارِض؟

إن الكفار يُعلِّقون المُعارِض بالمستقبل الذي لن نكون فيه أملاً في تحليل هذا التعقيد الوظيفي للكائنات الحية، وكفار ذلك المستقبل سيُعلِّقون المُعارِض أيضًا بمستقبلٍ آخر. وإنك لن تجد بين المتفكهين مَن يتفكه كما يتفكه المستقبل بهؤلاء!

﴿ وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [الملك:١٠].

ومن أشهر دلالات الصنع الإلهي المتقن ما كان يتوقع التطوريون أنه حجة لهم.

تخيل!

ما كان يُتوقع أنه حجة تطورية أصبح حجة إيمانية على الخلق الإلهي المباشر!

وأحد أشهر هذه الحجج: فيروس النسخ العكسي ERV retrovirus الذي يوجد في نفس المكان تقريبًا من جينوم الإنسان والشمبانزي فافترضوا أنه حجة ودليل على صحة النظرية.

لكن مع البحث والتحري اكتشفنا أن:

أولاً: فيروسات النسخ العكسي ليست فيروسات مرضية كما يبدو وإنما هي تسلسلات وظيفية داخل جينوم الكائنات الحية، فهي تعطي شيفرات لعشرات

الآلاف من المحفزات النشطة encode tens-of-thousands of active promoters.

وهذا يعني أنها شيفرات وظيفية وليست إرثًا تطوريًا أو شيئًا ظهر نتيجة إصابة مرضية عشوائية بلا وظيفة كما يُروج دعاة التطور![1]

بل إن تسلسلات فيروسات النسخ العكسي تساعد الجين P٥٣ في عملية تنظيم الجينوم ككل، وهذا الجين مهم جدًا إلى الدرجة التي يؤدي أي خلل في وظيفته إلى الإصابة بالسرطان –عافانا الله وإياكم–.

بل إن ٥٠٪ من إصابات السرطان سببها المباشر خلل في الجين P٥٣[2].

فتصديقك لدعاة التطور يؤدي إلى إصابتك بالسرطان.

نظرية التطور تُسرطن الجنس البشري![3].

فشيفرات فيروسات النسخ العكسي تسلك كجينات طبيعية تمامًا وتؤدي وظيفتها باقتدار وليست إصابة ولا يتعامل معها الجينوم كإصابة مرضية أصلاً! بل إن تجاهل تلك التشفيرات كان أحد أكبر أخطاء الأحياء الجزيئية[4].

---

(١) Conley, A.B., Piriyapongsa, J. and Jordan, I.K., Reference ١

(٢) retroviruses ... helped a gene called p٥٣ become an important "master gene regulator

(٣) We report that human ERVs actively shape the p٥٣ transcriptional network in a species-specific manner
ScienceDaily, University of California - Santa Cruz, Nov. ١٥, ٢٠٠٧

(٤)The failure to recognize the full implications of this - particularly the possibility that the intervening noncoding sequences may be transmitting parallel information ... may well go down as one of the biggest mistakes in the history of molecular biology.
Wolfgang Seifarth, Oliver Frank, Udo Zeilfelder, Birgit Spiess, Alex D
=

ثانيًا: أحد أُسس علوم الأوبئة أن الخلية المصابة بفيروس –مثل الإصابة بفيروس النسخ العكسي– فإنها تموت –الموت المبرمج للخلايا بعد الإصابة بالفيروس Apoptosis – هذا فضلاً عن أن تظل حيةً فضلاً عن أن تكون هذه الخلية هي النطفة التي ينشأ منها الجنين والتي في العادة تكون من أنقى وأصلح الخلايا على الإطلاق، فضلاً عن أن تظل شيفرة العدوى ملايين السنين تنتقل بين الأجيال!

فشيفرات النسخ العكسي لم تأت عبر عدوى بفيروس النسخ العكسي لأحد الأجداد وإنما هي شيفرات وظيفية داخل الجينوم!

ثالثًا: الزعم بأن شيفرة فيروس النسخ العكسي توجد في نفس المكان لدى الإنسان والشمبانزي كدلالة على السلف المشترك هي فكرة في منتهى السخافة، لوجود نفس الشيفرة في نفس المكان لكائنات حية سلكت طرقًا تطورية مختلفة بحسب شجرة التطور نفسها![١]

بل إن شيفرة الفيروس العكسي توجد اليوم تمامًا لدى قردة البابون والقطط، الأمر الذي حيّر علماء التطور وجعلهم يتخيلون سيناريوهات عجيبة لتبرير ذلك فافترضوا أن القطط تغذت على مشيمة قردة البابون المصابة بنفس الفيروس![٢]

فغاية ما في هذه الفروض أنها أوهام وتأملات!

=

Journal of Virology, January ٢٠٠٥ vol. ٧٩ no. ١ ٣٤١-٣٥٢

(١) two closely related ERV genomes are found in a carnivore (fox) and a ruminant (sheep.(

http://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC١٦١٧١٢٠/

(٢) Robin A Weiss, "The discovery of endogenous retroviruses," Retrovirology,

=

رابعًا: لو استخدمنا نفس منهج دعاة التطور فإن شيفرة فيروس النسخ العكسي تهدم نظرية التطور وتقلب شجرة التطور المزعومة رأسًا على عقب! حيث أن هناك شيفرة فيروس نسخ عكسي موجودة في الشمبانزي والغوريلا والقردة الأفريقية وقردة العالم القديم ولا توجد في الإنسان وهذا هو الفيروس PTERV١، وبما أنه وطبقًا لأدبيات التطور فإن السلف المشترك للإنسان والشمبانزي قد انفصل عن الغوريلا قبل انفصال الإنسان والشمبانزي وبالتالي فلو وُجدت شيفرة فيروس نسخ عكسي في الغوريلا والشمبانزي في نفس المكان، إذن حتمًا ولابد أن توجد في الإنسان، وإلا فشجرة التطور وهم! وما حدث أنه فعلاً توجد شيفرة فيروس النسخ العكسي من نوع PTERV١ في الغوريلا والشميانزي ولا توجد في الإنسان وهذا يُسقط التطور ككل بنفس أدوات احتجاج التطوريين![١]

أيضًا من دلالات الصنع الإلهي المتقن والتي كان يستخدمها التطوريون "وجود العصب الحائر" فقد كان التطوريون يتخيلون أن فرع العصب الحائر Recurrent Laryngeal Nerve يستطيل بطريقة ليس لها فائدة –يدور حول الأورطى Arch of Aorta ثم يصعد نحو الحنجرة، والأولى أن يدخل للحنجرة مباشرةً–، فهذه الاستطالة الزائدة مجرد إرث تطوري!

إلى الحد الذي دفع ريتشارد داوكينز إلى عمل فيديو علمي وثائقي كامل في الدعاية للتطور بناءً على هذه الحجة.

=

٢٠٠٦; ٣: ٦٧. Published online ٢٠٠٦ October ٣

(١)http://www.sciencedaily.com/releases/٢٠٠٥/٠٣/٠٥٠٣٢٨١٧٤٨٢٦.htm

لنكتشف بعد سنوات أن هذا الخطأ التي روّج له ريتشارد دوكينز، خطأ كارثي علميًا ففرع العصب الحائر في دورانه حول الأورطى يعطي تغذية رئيسية للقلب deep cardiac plexus.

ولو لم تحدث هذه اللفة -التي من المفترض أنها بلا فائدة- فإن فرع العصب ساعتها سيوصف ب Non-Recurrent Laryngeal Nerve وهو الصورة المثالية التي يتوقعها ريتشارد داوكينز. أليس كذلك؟

لكن المصيبة أن هذه حالة مرضية خطيرة، حيث ينزل فيها فرع العصب الحائر إلى الحنجرة مباشرةً دون الدوران حول الأورطى فيتضخم الأورطى وتصبح حياة الإنسان ككل عرضة للخطر.

تخيل!

افتراض أن التطور صحيح يجعل حياتك في خطر ويتضخم شريان الأورطى الخاص بك!

افتراض أن كلام ريتشارد دوكينز صحيح يجعل قلبك مريض! فلابد أن يدور فرع العصب الحائر حول الأورطى ويعطي تغذية عصبية للقلب! فلا تصدق التطوريين الجدد، لئلا يمرض قلبك(١).

فهذه أشهر حجج التطوريين في دعم النظرية والتي لم تكن أكثر من دليل على الخلق الإلهي وإبداع الصنع!

---

(١) http://www.weloennig.de/LaryngealNerve.pdf

لكن هناك سؤالاً يتكرر كثيرًا هل نحن نرفض نظرية التطور ككل خاصةً وأن هذه النظرية تديرها مؤسسات علمية ضخمة ولها أرصدة بنكية عملاقة؟

الإجابة: نظرية التطور كمصطلح هي مظلة ضخمة ينضوي تحتها حقائق علمية وأفكار جميلة وينضوي تحتها خرافات وأوهام وينضوي تحتها أكاذيب حقيقية وتدليس وتزييف يعرفه القاصي والداني!

مشكلتنا هي مع التطور النوعي: انتقال نوع إلى نوع!

هذه هي القضية وهذه هي المشكلة العلمية الكبرى في النظرية.

وللأسف هي المشكلة التي شوهت النظرية والتي كانت وما زالت مكمن الضعف الأكبر في النظرية!

لأنها ببساطة: وهم وكذب وليست حقيقة علمية ولا حتى نظرية!

إذن ما هي الحقائق العلمية في نظرية التطور؟

الحقائق العلمية كثيرة، مثل: مقاومة الباكتريا للمضاد الحيوي!

مثل: اكتساب وظائف جديدة للكائن الحي!

لكن ما المانع أن تتحول هذه الوظائف الجديدة إلى نوعٍ جديد؟

هذا هو الخيال والوهم!

لا علاقة بين الوظائف الجديدة وبين ظهور كائن جديد وسأضرب مثالا بسيطاً على ذلك: مطبخك يوجد به دقيق وسكر وزيت وبيكنج باودر وبيض.

صينية الكيك تتكون من هذه المكونات الرائعة.

اليوم الذي تصنع فيه صينية فطير بالسكر يكون هذا تطور صغير لأنك لم تضف أية مادة من خارج مطبخك.

فصينية الفطير بالسكر تتكون من نفس المواد التي تُشكل الكيك!

أما اليوم الذي تقدم فيه صينية مكرونة باللحم فهذا قطعًا تطور كبير لأنه ظهرت مادة جديدة من خارج مطبخك-المكرونة واللحم.-

أي -بلغة علم الأحياء- الحوض الجيني لمطبخك لا يتيح إلا صينية كيك أو فطير بالسكر أو أية صينية لا تخرج مكوناتها عن الدقيق والسكر والزيت والبيض والبيكنج باودر.

في عالم الأحياء...

الحوض الجيني للنوع يتيح أشكال وهجائن مختلفة.

الحوض الجيني للباكتريا يتيح مقاومتها للمضاد الحيوي.

الحوض الجيني للباكتيريا يتيح لها خصائص مدهشة كثيرة!

الحوض الجيني لطيور جزر الجالاباجوس التي رآها داروين كان يتيح لمناقيرها أن تختلف حسب نوعية الغذاء بكفاءة خلق مدهشة.

الحوض الجيني بالضبط مثل مكونات المطبخ السابق!

ظهور خصائص جديدة من خارج المطبخ هو فقط الذي نسميه فرصة انتقال للأنواع، أما كل التنويعات داخل المطبخ ليس لها علاقة بالتطور وإن كانت تُدرس تحت مظلة اسم نظرية التطور ولا مشاحة في الاصطلاح!

فالتطور الصغير ليس تطورًا بالمفهوم الاصطلاحي للتطور ولكنه فقط تنويع في الحوض الجيني لنفس النوع.

وكل بحوث التطور وكل رصده لا يتجاوز الحوض الجيني للنوع!

فلا يوجد كائن ولا حشرة ولا ميكروب ظهرت بأيٍ منهم مادة وراثية جديدة من خارج الحوض الجيني للنوع!

ولا توجد ورقة علمية محكمة peer-review واحدة تثبت ظهور شفرة جينية جديدة لبروتين وظيفي متخصص من خارج الحوض الجيني لأي نوع.

إذن علميًا يظل التطور خرافة!

وهذا هو السبب الذي دعا كارل بوبر –فيلسوف العلوم الأشهر – إلى الاعتراف قبل وفاته بعامٍ تقريبًا أنه رافض لنظرية التطور، وذلك طبقًا لل Scientific American فحين سُئل في آخر حياته عن النظرية قال أنه ما زال غير راضٍ عنها(١).

ويظهر تحليل كارل بوبر لسبب عدم الرضا عن النظرية في آخر مصنفاته حين نقل عن أحد عظام الداروينية –على حد تعبيره– وهو (كارل هال وادينجتون C. H. Waddington) قوله: "يتضح أن الانتخاب الطبيعي طاوطولوجيا".

(١) Popper took them back. But when I interviewed him in ١٩٩٢, he blurted out that he still found Darwin's theory dissatisfying .
http://blogs.scientificamerican.com/cross-check/dubitable-darwin-why-some-smart-nonreligious-people-doubt-the-theory-of-evolution/

وطاطولوجيا يعني تكرارية حشوية لا يمكن أن تنضبط بأدلة!
فالطاطولوجيا مصطلح فلسفي يؤكد عبء نظرية التطور.

ويؤكد بوبر أن: "نفس كلام وادينجتون يوجد لدى داروينيين عظام من أمثال: (رونالد فيشر Ronald Fisher) عالم الإحصاء والأحياء التطورية، أحد مؤسسي الداروينية الحديثة.

ورونالد فيشر لمن لا يعرفه هو واضع الأسس الرياضياتية والإحصائية للبيولوجيا ووحّد بين الانتخاب الطبيعي والوراثة المندلية. وشهرته ومكانته في الداروينية تظهر لدى ريتشارد دوكينز والذي حينما سأل عن أعظم بيولوجي من بعد داروين، قال إنه يرشح لهذا المنصب (رونالد فيشر).

أيضًا هناك (جون هالدِن Haldane .J. B. S) عالم الوراثة والأحياء التطورية البريطاني، وشريك فيشر في تأسيس الوراثة السكانية وفي تطوير التركيبة الداروينية الحديثة Evolutionary Synthesis Modern.

أضف إليهم (جورج سيمسون George Gaylord Simpson) عالم الحفريات الأمريكي الأكثر تأثيرًا، والذي عمل لأكثر من ثلاثين عاماً في إدارة متحف التاريخ الطبيعي في أمريكا، وساهم إسهامات عديدة في علم تصنيف الحفريات. وكان أيضا من أهم المشاركين في تأسيس التركيبة الداروينية الحديثة مع فيشر وهالدِن.

كل هؤلاء يؤكدون أن التطور طاطولوجيا –والكلام لكارل بوبر–."[١]

هؤلاء هم أعمدة نظرية التطور حول العالم، وهم أنفسهم الذين يؤكدون أن التطور أزمة فلسفية.

فمفهوم الانتخاب الطبيعي مفهوم فلسفي –طاوطولجيا–؛ كأنْ تقول كل الطاولات طاولات، وليس مفهومًا علميًا.

فمتى نقرر أن الكائن الحي الذي ظل حيًا تم انتخابه طبيعيًا؟ هل لمجرد أنه ظل حيًا؟

ما مبرر قولنا أن ما جرى انتخابًا؟

لماذا لا يكون شيء آخر أبقى على هذا الكائن؟

أنا أُقدر أن الملحد لن يستطيع أن ينكر التطور رغم كل ما قلناه، لأن الملحد بالفعل يريدها تطور، لكن هذا لا يعني أن التطور صحيح!

لكن هل توجد أبحاث علمية تدحض نظرية التطور مباشرةً؟

نعم وهي كثيرة، وهناك نظرية ظهرت مؤخرا تسمى نظرية: " الحد الأدنى من الجينات" هذه النظرية تنقض التطور ولأعطيكم نبذة عنها!

في البداية: إذا كنّا أبناء المادة، وكان التطور صحيحاً فنحن بحاجة إلى أن نبدأ من صفر جينة، إذا أردنا المرور من الهيدروجين إلى الإنسان.

هذا هو السيناريو الوحيد المتاح.

---

(١) Evolutionary Epistemology, Rationality, and the Sociology of Knowledge, with Contributions by Sir Karl Popper (١٩٩٣), Edited by Gerard Radnitzky .

والجينة عبارة عن شريط معلوماتي عملاق يحتوي على قرابة مائة ألف حرف لتشفير الوظائف الحيوية للكائن الحي.

كان الملاحدة يتوقعون أن تبدأ الحياة من الصفر جينة ثم الجينة الأولى التي تحتوي على الحرف الواحد ثم الحرفين والثلاثة وهكذا!

لكن جاءت نظرية الحد الأدنى من الجينات لتقضي على هذا الحلم!

فطبقاً لنظرية الحد الأدنى من الجينات Minimum gene set concept لا يُمكن لكائن حي مهما كانت بساطته أن ينزل إلى أقل من ٣٩٧ جينة وفي عدد ٦ يناير ٢٠٠٦ نشرت مجلة الطبيعة الشهيرة Nature أنه "لا يمكن أن نتجاوز حاجز ٣٩٧ جين"، فإنتاج الطاقة وحدة يتطلب ٦ جينات كحد أدنى، وإذا نقص جين واحد فالخلية لن تُزوَّد بالطاقة، وبالتالي لن تكون هناك خلية أصلاً، وهكذا كل وظيفة أساسية لها حد أدنى من الجينات[١].

وقد وجد العلماء أن الميكوبلازما Mycoplasma – وهي أدق كائن حي موجود على وجه الأرض على الإطلاق – لديه ٤٦٨ جين، واكتشف العلماء أن هذا هو الحد الأدنى للكائن الحي![٢]

تأتي هذه النظرية الحديثة نسبيًا لتقضي على حلم العشوائية الإلحادي والتطور الداروي، فنحن بحاجة إلى مئات الآلاف من الحروف منذ اللحظة الأولى، ولو

---

(١) The idea of a minimal gene set refers to the smallest possible group of genes that would be sufficient to sustain a functioning cellular life https://www.ncbi.nlm.nih.gov/books/NBK٢٢٢٧/

(٢) http://www.pnas.org/content/١٠٣/٢/٤٢٥.full

اختل حرف مكان حرف لظهرت مشكلة حقيقية للكائن وقد لا يستطيع الحياة، ببساطة نحن بحاجة لقرابة مائة مجلد ضخم بمنتهى الضبط منذ اللحظة الأولى!

تخيل مائة مجلد ضخم بمنتهى الإتقان يشكلون الشفرات الوظيفية لأقل كائن حي ممكن على الإطلاق!

لكن السؤال الأهم: ما معنى الشفرة، ثم كيف تتحول الشفرة إلى كائن وظيفي يحيا ويتعايش!

كيف تتحول معلومات مكتوبة إلى مفاصل وأجهزة هضم وتنفس وتكاثر ووعي؟

وكيف تظهر فجأة مئات الآلاف من الحروف متراصة بمنتهى الضبط!

هل لي جهود علمية في نقد النظرية؟

نعم

قمت بتقديم ورقة علمية في نقد النظرية وبصدد الثانية إن شاء الله

ما هو الإشكال الذي طرحته الورقة؟

الورقة تتحدث عن الجينات المتكررة واستحالة ظهور طفرة نافعة فيها.

ودعوني أشرح الأمر بالتفصيل:

في البدء؛ التكرارية هي: نموذج تكراري من مكونات النظام بهدف تطبيق الأداء بمثالية

حيث يتم تعبئة النظام بنماذج تكرارية من المكونات الأساسية لتتوفر نسخ احتياطية لمواجهة أي عَطب مفاجيء.

فالقمر قبل إرساله إلى الفضاء يشتمل على مكونات أساسية متكررة ومن أمثلة ذلك: نظام التوجيه بالقصور الذاتي Inertia يعتمد على خمس حواسيب متكررة على متن القمر، وهناك ثلاث وحدات قياس قصور ذاتي متطابقة.

وتوجد نفس القضية في الكائنات الحية، حيث تتكرر الجينات بطريقة تجعلها في أمان من أي عطب أو طفرة mutation مفاجئة.

فالتكرارية جهاز أمان بيولوجي يقصف أثر الطفرات!

وهذه الآلية ليست زائدة عن الحاجة بل هي ضرورية، إذ ليس هناك نظام بدرجة تعقيد الكائنات الحية دون الحاجة لدرجة من التكرارية في العديد من مناحي صنعه.

وكلما زادت تكرارية الجينات زادت الحاجة لطفرات متزامنة مؤثرة على التغير التطوري، وزادت صعوبة التصديق بقدرة التغير على إحداث نموذج نافع.

فهناك صعوبات مصيرية توقف أي أمل في طفرة نافعة!

فحين تُفكر في تغيير أحد برامج إعادة التوجيه داخل المركبة الفضائية فإن النسخ الأخرى تقوم بإعادة تصحيح أي عبث تُجريه، ولو ظهر لك أن ما تقوم به نافعًا فإن إعادة التصحيح لا تنشغل بتصوراتك تلك، ويكون بانتظارك دومًا نسخة أو نسخ أخرى مطابقة للأصل تُرجع البيانات كما كانت بمثالية تامة.

لذلك حين تُقرر أن تُغير أحد البيانات للأصلح ولو حرف واحد فقط داخل برامج إعادة التوجيه، فكل ما هو مطلوب منك وبمنتهى الهدوء أن تُجري هذا التعديل في جميع النسخ في نفس المكان وفي نفس اللحظة.

أية محاولة أخرى ستُسبب إما خلل في البرنامج عامةً وذلك حين تأتي تغييراتك في أماكن مختلفة من النسخ المتطابقة، أو أن تغييراتك لن يكون لها قيمة إذا كانت هناك نسخة لم تتعرض للتغيير!

بنفس هذا القياس فإن محاولة إحداث طفرات صناعية في ذبابة الفاكهة لم تُولد إلا خللاً غريبًا في شكل أو وظيفة ذبابة الفاكهة لأن الطفرات لم تكن بنفس الشكل في نفس الحروف.

الشرط الأهم من كل ما سبق أن تكون الطفرة منتجة لفائدة.

وأن يكون التطفر في نفس الوقت وفي نفس المكان، وإلا فلو كان التطفر في نفس الوقت لكن ليس في نفس المكان فقد يُنتج خللاً مستدامًا.

لذلك إذا أردت تنسيق الشروط لإنتاج طفرة نافعة فالمطلوب:

١- تغيير في شكل أو ترتيب الحروف.

٢- تغيير الحروف يُنتج طفرة نافعة.

٣- يكون التغيير في نفس المكان بالضبط.

٤- يكون التغيير في نفس الوقت.

لو اختل شرط واحد من الشروط الأربعة فلن يكون للتغيير مكانًا ولا معنىً!

فالتكرارية تقضي على أمل الطفرات النافعة.

التكرارية نموذج يوجد في كل مستوى نمائي

لا تقتصر التكرارية على الجينات المفردة أو على مستوى على مستوى محدد من مستويات نماء الكائن الحي بل هي ظاهرة توجد على كل المستويات.

شرط إضافي:

أيضًا لا ننسى أن التغيرات النافعة تحتاج لشرط آخر وهو شرط: ضبط بقية أعضاء الكائن الحي لتقبل واستيعاب التغيرات المعاوضة في هذا العضو.

فمثلاً لتتغير عين كائن بري مثل الدب في حال تحوله إلى حوت فنحن لسنا بحاجة فقط لتغيرات في منظومة عين الحوت لتتقبل البيئة المائية فقط!

بل نحن نحتاج إلى تغيرات جذرية في مركز الإبصار في المخ وتركيب المخيخ والجفون وقدرة التحمل الواقعة على الـSclera وقدرة العين على الرؤية المائية المليئة بالشوائب.

وغير ذلك من التكيفات المطلوبة للرؤية المائية.

وهذا يضع أطروحة النظرية ككل أمام مشكلة حقيقية.

ولو أردت وضع احتمالية نشوء طفرة في زوج واحد من الأزاوج النيوكلوتيدية في كل التكراريات في الوقت ذاته، وقمت بالترميز لزوج النيوكلوتيدات بالرمز N ولعدد التكراريات بالرمز R ولتوافق ذلك زمانيًا بحساب عمر الجيل واحتمالية التطفر بالرمز t فأنت بحاجة إلى N أس R أس t من الاحتمالات.

ولو افترضنا أن متوسط التشفير بأبسط المنظومات الوظيفية هو مائة ألف من ازواج القواعد النيتروجينية، فأقل عدد من التكراريات في أقل زمن متاح للجيل مهما كان معدل التطفر مرتفعًا فإن النسبة لا يكفيها عمر الكون كله.

فعمر الكون هو ١٠أس ١٧ ثانية وأقل احتمالية لتطفر في كل النماذج التكرارية على الإطلاق في نفس الوقت تتجاوز ١٠٠.٠٠٠ أس٢أس ٢ ثانية، وهذا يعادل ١٠ أس ٢٠ ثانية أي مليارات عمر الكون.

هذا الكلام يشكل قاصمة للإلحاد نفسه

تخيل الضبط والاتقان في الشفرة والصنع الإلهي والخلق البديع وكيف لحرف واحد لو اختل أن تحدث كورات كبرى، فما بالك بملايين الحروف داخلك

هذه علامات خلق إلهي مباشر وبديع صنع.

والحمد لله رب العالمين

لكن الورقة العلمية تعرضت لتبليغات كثيرة من الملحدين العرب؟

نعم

وهذا مدهش لشخص لا يعرف الملحدين

لكنها طبيعة الإلحاد!

الخوف من أية ورطة تضع إلحادهم في حرج!

وكان من أثر التبليغات على الورقة أن اضطرت المجلة لحذفها

فعادة المجلات العلمية لا تقبل هذا النوع من التشويش، ونصيحة المجلات عدم نشر الأوراق العلمية في أوساط غير المتخصصين.

لكن بحمد الله أعدت مراسلة المجلة وحصلت على رقم مرجعي جديد للورقة.

وقد كنت مهتمًا أن تعيد نفس المجلة نشر نفس الورقة حتى يعلم الملحدون أن تبليغاتهم ضاعت هباءً وأن محاربة العلم لا تكون إلا بالعلم وليس بالتبليغات والتشويش!

وسبحان الله من العجيب أن مدير مجلة "علوم الجينوم" التي نشرت بها ورقتي طلب مني العمل كمحرر علمي بمجلة Journal of Life sciences وهذه رسالته لي:

Dear Dr. Haitham Talaat, Greetings from the Journal of Genomics and data mining.
I would like to introduce myself as the Managing Editor for the Journal of Genomics and data mining. Our sincere Endeavour is to establish highest standards of quality in the domain of open access scientific publication .The collaboration of qualified researchers like you, we are sure to realize our objective to bring out quality open access journals in Science.
We greatly honor to invite you to be Editorial Board Member for the Asian Journal of Life sciences Note: If you are interested please send your updated CV

& recent photograph, research interests and your complete working details (Department, University and Telephone number) attached to this email. Please let us know your valuable decision at your earliest possible.

Awaiting positive response!

With Thanks & Regards

Julia Carroll

Editorial Assistant

Asian Journal of Life sciences

٥٩١١ Oak Ridge Way

Lisle, IL ٦٠٥٣٢

USA

Tel: +١-٦٣٠-٣٩٧-٠٢٣٤.

فهذا سبحان الله من فضل الله علينا، وبيان أن الهجوم قد يأتي بخير!

والآن نريد الاطلاع على المزيد من أخطاء النظرية بنوعٍ من البسط والتفصيل

فإلى البسط والتفصيل على بركة الله:

التطور معالجة جديدة!

محاكمة النشوء قبل الارتقاء

منذ أن وضع تشارلز داورين Charles Darwin كتابه الأشهر "في أصل الأنواع On the Origin of Species" في العام ١٨٥٩، والجدال لم يتوقف بشأن صحة "الداروينية" أو الصيغة الأحدث "التطور"، وقد لا يتوقف الجدال في المستقبل المنظور لدواعٍ تتجاوز حيز العلم بكثير وتمسّ عقائد وأديولوجيات لدى الطرفين.

فالملحد يريدها تطور؛ لأن الكائنات على وجه الأرض إما جاءت عبر تطور وارتقاء وإما خلق مباشر ولا بديل ثالث، وبالتالي إذا سقط التطور سقط الإلحاد وسقطت مدارس المادية قولاً واحدًا.

لكن الطرف الآخر قد يكون أقل حماسةً؛ فالتطور لا يشكل خطرًا على الدين كما يشكل نفيه نسفًا للإلحاد.

لكن في وسط هذا الجدال الذي لا يرحم قليل مَن يلتفت إلى أصل الموضوع وهو النشوء- أي بداية ظهور الحياة- قبل الحديث عن الارتقاء-أي تطور الأنواع.

فالأولى أن يتم التنظير للأصل قبل الفرع، وللجذع قبل الغصن. لكن سارت السفن بما يشتهي الملحد، فنحن لو انطلقنا من الأصل –النشوء- ما سَلِم للملحد فرع –الارتقاء- لأن الأصل يقع خارج أُطر العلم الرصدي والتجريبي حتى الساعة.

فقليل مَن يدرك حتى من المتحمسين من كلا الطرفين أن النشوء باعتراف كبار الملحدين يستحيل تفسيره في إطار المادة أو العشوائية أو الرؤية التطورية.

وإلى اليوم يبقى سؤال كيف بدأت الحياة على الأرض؟ باتفاق كل مَن يُعتد برأيه من البيولوجين وعلماء الكيمياء الحيوية بلا إجابة[١].

فإذا كان السؤال الأول في الداروينية بلا إجابة فكيف نتطلع إلى القطع بما بعده ؟

لكن قد يرى متفائل أن القضية قصور في أدوات البحث سيجد لها العلم جوابًا ذات يوم، وهذا ليس تفاؤلاً وإنما جهل بأبجديات علمي البيولوجيا والكيمياء الحيوية، فطبقًا لحسابات عالم الفلك الإنجليزي الملحد فريد هويل Sir Fred Hoyle، فإن فرصة الحصول على فقط مجموعة الإنزيمات لأبسط خلية حية تصل إلى ١٠ أس ٤٠٠٠٠ مع أن عدد الذرات في الكون كله لا تتجاوز ١٠ أس ٨٠[٢].

(١) Today as we leave the ٢٠th century, we still face the BIGGEST PROBLEM that we had when we entered the ٢٠th century : how did life originate on earth source: Jeffrey Bada, Earth, February ١٩٩٨, p.٤٠.

(٢) the chance of obtaining the required set of enzymes for even the simplest living cell without panspermia was one in $١٠^{٤٠٠٠٠}$. Since the number of atoms in the known universe is infinitesimally tiny by comparison ($١٠^{٨٠}$).

وفي هذه اللحظة يستنتج فريد هويل أن مجرد طرح احتمالية ظهور البرنامج المنظم للخلية الحية، بالمصادفة في الحساء البدئي لبيئة الأرض الأولى على أنه نوع من الهراء على أعلى مستوى ممكن

Is evidently nonsense of a high order[١].

وفريد هويل لمن لا يعرفه هو عالم فلك بريطاني شهير وصاحب مصطلح الانفجار العظيم Big Bang وكان ملحدًا، إلا أن أبحاثه في فرضيات نشأة الحياة على الأرض جعلت إلحاده يهتز بشدة "greatly shaken" كما يقول عن نفسه[٢].

وقد اعترف هويل صراحةً أن أبسط بديهيات العقل حين تتحرى لحظة الظهور الأولى للحياة فإنها تُسلم لحقيقة التصميم والإبداع كونها بديهة ماثلة أمام الأعين، يقول هويل: "ولو تابعنا بشكل مباشر ومستقيم في هذه المسألة، ودون أن نبالي بالخوف من مخالفة الرأي العلمي السائد، نصل إلى استنتاج مفاده أن المواد

---

(١) The notion that not only the biopolymer but the operating program of a living cell could be arrived at by chance in a primordial organic soup here on the Earth is evidently nonsense of a high order.Sir Fredrick Hoyle and Chandra Wickramasinghe, Evolution from Space (New York: Simon & Schuster, ١٩٨٤), p. ١٤٨.

(٢)http://www.uncommondescent.com/intelligent-design/fred-hoyle-an-atheist-for-id/.

البيولوجية بما تحويه من قياس ونظام يجب أن تكون ثمرة تصميم ذكي، ولا توجد أي احتمالية أخرى يمكنني التفكير بها"[١].

أما ديفيد بيرلنسكي David Berlinski عالم الرياضيات والبيولوجي الأمريكي الشهير، فيؤكد أن مسألة النشوء وكل ما كُتب فيه مِن قبل الماديين مجرد خيال علمي لا أكثر![٢].

وديفيد بيرلنسكي شخص لا أدري agnostic ظهرت رؤيته لخرافية ما كُتب عن نظريات نشأة الحياة في إطارها المادي أثناء عمله كمساعد باحث في البيولوجيا الجزيئية molecular biology بجامعة كولومبيا Columbia University، وتبين له كما تبين لفريد هويل من قبل أن احتمالية الظهور العشوائي لأبسط خلية خلية ممكنة، هو نفس القدر من احتمالية تشكيل طائرة بوينج ٧٤٧ بعد إعصار يجتاح كومة من الخردة [٣].

فأبسط خلية ممكنة هي منظومة معلوماتية تحتوي على تشفير داخل الجينوم الخاص بها، وحين يتم فك هذا التشفير تظهر خصائص الخلية ووظائفها، ولا يمكن أن تقوم الخلية بتشفير ما ستحتاج إليه؛ لأنها أصلاً لا تعرف ما تحتاجه قبل

---

(١) Hoyle, Fred, Evolution from Space, Omni Lecture, Royal Institution, London, ١٢ January ١٩٨٢; Evolution from Space (١٩٨٢) pp. ٢٧–٢٨.

(٢)https://web.archive.org/web/٢٠٠٨٠٤٢٠٠٨٢٨٠٢/http://www.slate.com/id/٢١٨٩١٧٨/entry/٢١٨٩١٧٩/.

(٣)http://www.jstor.org/discover/١٠,٢٣٠٧/٢٠٢٤٧٧٦?uid=٣٧٣٧٩٢٨&uid=٢&uid=٤&sid=٢١١٠٤٨٤٩٦٩٥٠١١.

أن تظهر، وهي لن تظهر بدون تشفير مسبق، هذه أبسط بديهيات العقل التي إن تجاهلناها تجاهلنا بعد ذلك كل شيء!

فالتشفير هو عملية خلق متقنة مبدعة لا يوجدها إلا خالق موجد –سبحانه وتعالى–، ولذا حين اكتشف فرانسيس كريك Francis Crick جزيء الـDNA المعجز، اعترف كريك وكان ملحدًا أن نشأة حياة على الأرض شيء مستحيل تلقائيًّا ووضع من أجل ذلك كتابه:

(Life Itself: Its Origin and Nature «الحياة نفسها نشأتها وطبيعتها»)[(١)].

فنشأة الحياة –النشوء– هي القضية التي إن صلحت وفق النسق الديني صلح ما بعدها وتهاوت كل دعاوى الملحدين، وإن تجاوزناها دخلنا مع الملحد جدالاً لا يرحم وفروضًا لا تنتهي.

ومؤخرًا وتحديدًا في ٩ ديسمبر عام ٢٠٠٤ كتب الملحد الشرس في ذلك الوقت أنتوني فلو Antony Garrard Newton Flew كتب يقول: "إن الحجج الأكثر إثارة للإعجاب على وجود الله هي المدعومة بالاكتشافات العلمية الحديثة، وتلك الحجج الخاصة بالخلق المبدع للحياة أقوى بكثير عما كنت قد رصدتها من قبل"[(٢)].

---

(١) Crick, F. H. C. and Orgel, L. E., ١٩٧٣, Icarus, ١٩, ٣٤١.

(٢) Habermas, Gary R. (٩ December ٢٠٠٤), "My Pilgrimage from Atheism to Theism: An Exclusive Interview with Former British Atheist Professor Antony Flew".

فالسؤال الفلسفي الذي لم تتم الإجابة عليه حتى الآن طبقًا لأنتوني فلو هو بشأن نشأة الحياة إذ كيف للكون الذي يتشكل من مادة عمياء بلا عقل أن يُنتج كينونات تحكمها الغائية، والمقدرة على التكاثر والكيمياء المشفرة، إننا الآن لا نتعامل مع بيولوجيا إنها فئة مختلفة تمامًا من المشكلة[١].

فحتى تشارلز داروين نفسه كان يؤمن أن الحياة قد "نُفخ فيها بإعجاز مِن قبل الخالق" وهي الكلمة الشهيرة لداروين في آخر كتابه أصل الأنواع The Origin of Species في طبعاته الأولى.

وبعد اكتشاف الجزيء المعجز DNA الذي يُشكل جينوم الخلية الحية ويشفر وظائفها، لم يعد بالإمكان الحديث عن ترف الصدفة أو الحساء البدئي لبيئة الأرض الأولى أو كل تلك الفروض التي كان يعبث الملحد يومًا ما من خلالها في بديهياتنا العقلية.

يقرر اللاديني فرانسيس كريك Crick Francis مكتشف جزيء الDNA سابق الذِّكر أن نشأة بروتين واحد وظيفي بسيط بالصدفة هو ضرب من الاستحالة يكاد يفوق ١٠ أس ٢٦٠ مع أن عدد ذرات الكون ككل لا

---

(١) The philosophical question that has not been answered in origin-of-life studies is this: How can a universe of mindless matter produce beings with intrinsic ends, self-replication capabilities, and 'coded chemistry'? Here we are not dealing with biology, but an entirely different category of problem".

There is a God: How the World's Most Notorious Atheist Changed His Mind, New York: Harper One, p. ١٢٤.

تتجاوز ١٠ أس ٨٠، هذا في بروتين وظيفي بسيط مع أن أدنى الكائنات به آلاف البروتينات، وفي النهاية يعترف فرانسيس كريك قائلاً: "كرجل منصف، ومُسلح بالعلم المتاح لنا الآن، أستطيع أن أُقرر بشيءٍ من المنطق، أن نشأة الحياة معجزة"[١].

لكن وقبل أن نختم لابد وأنه قد قفز إلى ذهنك سؤال: كيف بقي كل هؤلاء العلماء الملحدين على إلحادهم مع قطعهم بوجوب التدخل والإبداع والخلق؟

ستبقى إجابة هذا السؤال إلى مقالنا التالي بمشيئة الله تعالى

---

(١) "If a particular amino acid sequence was selected by chance, how rare an event would this be?

"This is an easy exercise in combinatorials. Suppose the chain is about two hundred amino acids long; this is, if anything rather less than the average length of proteins of all types. Since we have just twenty possibilities at each place, the number of possibilities is twenty multiplied by itself some two hundred times. This is conveniently written $٢٠^{٢٠٠}$ and is approximately equal to $١٠^{٢٦٠}$, that is, a one followed by ٢٦٠ zeros .

"Moreover, we have only considered a polypeptide chain of rather modest length. Had we considered longer ones as well, the figure would have been even more immense. The great majority of sequences can never have been synthesized at all, at any time." pp. ٥١-٥٢ .

"An honest man, armed with all the knowledge available to us now, could only state that in some sense, the origin of life appears at the moment to be almost a miracle, so many are the conditions which would have had to have been satisfied to get it going". Life Itself: Its Origin and Nature, P.٨٨.

أحجية البانسبرميا Panspermia

تحدثنا في المقال السابق عن العلماء الملحدين الذين ظلوا على إلحادهم مع قطعهم بوجوب التدخل والإبداع والخلق لحظة نشأة الحياة، فبأي مبررٍ يا ترى بقي هؤلاء على إلحادهم؟

طالما أن التدخل الإلهي ظاهر على كل المستويات، وطالما أن الأمر بهذا الوضوح، كيف استساغ هؤلاء الإلحاد؟

في واقع الأمر أحدث اكتشاف جزيء DNA المعجز في خمسينيات القرن الماضي، واكتشاف خريطة الجينوم Genome داخل خلية كل كائن حي على وجه الأرض، تلك الخريطة المعقدة المركبة اللغوية المنتجة القانونية ضربة موجعة للملحدين.

ونقول معقدة مركبة لغوية منتجة؛ لأن الحياة ليست إلا تنفيذ للخريطة الجينية المقننة الهادفة وهذا يجعلها دالة على مقنن هادف، فصفة الأثر دالة على صفة المؤثر.

فالحياة تسير بنظام دقيق منتج هادف واعٍ، تحت إشراف خريطة جينية ظهرت بمنتهى الضبط منذ البدء!

وهذه الخريطة الجينية قانونية فهي تُنشئ قوانين غاية في الضبط والتعقيد فسونار الطبيب أو رادار المرور قد صممها مصمم وفق قانون دقيق ومحكم ليؤدي الغرض الذي صُنع من أجله، وبنفس القياس العقلي نقول أن سونار الخفاش قد صممه مصمم ليؤدي قانون وظيفي دقيق ومحكم ومحدد فالخفاش يستخدم تقانة عالية لتحديد المواقع بالصدى echo location .

أمام هذه التحديات العملاقة التي لا تمهل الملحد اضطر الملاحدة إلى فرضية من أعجب وأغرب ما يكون أبقت لهم إلحادهم هوينًا، فقد اعتنق هؤلاء فرضية البانسبرميا Panspermia والبانسبرميا هي فرضية تزعم أن الحياة جاءت إلى الأرض من الفضاء الخارجي!

وهذه الفرضية تشتمل على خلل معرفي ومنطقي يصل إلى حد السخافة العقلية!

لكن في البداية علينا أن نعلم أن البانسبرميا مجرد فرض عقلي حتى اللحظة، ولم تحصل على سند علمي أو رصدي واحد على الإطلاق، ولذا تصنف في قائمة العلوم الزائفة غير الحقيقية pseudo-science حتى الساعة[١].

لكن قبل تحرير الخلل المنطقي في هذه الفروض السخيفة دعونا نذكر الخبر التالي للتوضيح: سأل الإعلامي الأمريكي بين شتاين Ben Stein الملحد الشهير ريتشارد داوكينز Richard Dawkins عما إذا كان يرى مانعاً من أن يكون أصل الخلية الحية الأُولى تصميمًا ذكيًّا من عمل بعض كائنات اليوفو UFO –كائنات حية في الفضاء الخارجي – في زمان سحيق، فقرر داوكينز أنه لا يرى ما يمنع ذلك، بل إنها تعد– على حد قوله– جديرة بالاهتمام!

لهذا لم يجد بين شتاين إلا أن عقَّب على جواب داوكينز بتلقائية وفطرية تامة قائلاً: " إذن هو لا مانع عنده من قبول فكرة التصميم الذكي عموماً، وإنما

(١) http://www.ideacenter.org/contentmgr/showdetails.php/id/٨٤٩.

يعترض على نسبتها إلى الخالق تحديدًا !"[١].

إن افتراض كائنات ذكية أنشأت الحياة على الأرض، هذا الافتراض يفتح تسلسلاً لا ينتهي فمَن الذي خلق تلك الكائنات الذكية؟ وهكذا . ولا يجيب عن السؤال!

ثم كيف لصاحب افتراض كهذا أن يَعيب على الجواب الديني، بل إن الجواب الديني أكثر منطقية وتناسقًا مع نفسه، ويمتلك دعمًا نقليًّا مباشرًا - النص المُقدس-، ويمتلك مستند عدم المعارِض- حيث لم تترك لنا تلك الكائنات تلك الدعوى العريضة، التي تُثبت قيامها بذلك -، أيضاً الجواب الديني أكثر عقلانية لعدم وجود التسلسل اللانهائي بداخله والذي هو مستحيل عقلاً، فالتسلسل اللانهائي تضطر فرضية اليوفو للتسليم به أو العودة للقول بالخالق الأبدي المستقل عن حدود الزمان والمكان.

وفي كلتا الحالتين تنهار أُحجية البانسبرميا.

يقول أبو الفداء بن مسعود: "فرضية مُصمم ذكي أنشأ الحياة على الأرض، هذا ليس جواباً في حد ذاته، وإنما هو إرجاء المطلب المعرفي الذي يرومه السائل إلى درجة من درجات تسلسل لا نهائي لا يوصلنا إلى جواب البتة!

فما فعل المُلحد بهذا في الحقيقة إلا أن أضاف في الطريق إلى إثبات العلة الأُولى الفاعلة- الله -، افتراضًا متهافتًا لعلّةٍ وسيطة لا يجد العقلاء من القرائن ما يوحي- ولو من بعيد - بوجودها أصلاً!

---

(١) http://www.youtube.com/watch?v=٩M_ZF٨r٥evw.

لكنه الهروب من التكليف الديني إلى دين بلا قيود ولا إلزامات، إنه دين اليوفو دين الملاحدة الجديد!"[١]

ويقول أيضًا في هذه النقطة: "ثم إن من مسلمات مُعطياتنا عن حدث الخلق الأول سواءاً للكون أو الحياة؛ أن منظومة الخلق تلك جاءت بنواميس وقوانين كونية حتمية، فكيف يُقال: إن أولئك الغرباء الذين هم داخلون في جملة تلك النواميس وخاضعين لها، قاموا بكسر تلك النواميس والقوانين وأوجدوا عندنا حياة ؟"[٢].

لكن يبدو أن الإلحاد مضطر إلى التسليم بفرضيات من هذا القبيل؛ لأنها الوحيدة المتاحة في مقابل الدين!

إن هذه الفرضيات هي فقط ترحيل للمشكلة إلى حيث نكون غير موجودين وانتهى الأمر على ذلك !

ثم إن عملية إبداع مصمم بهذا الذكاء هي عملية مدهشة للغاية، وتحتاج إلى قوانين خاصة هي الأخرى، وبالتالي ربما نكتشف أن الذين افترضوا هذه الفرضيات سيُجابهون يوماً ما بإلزامات ماورائية أعظم بكثير مما لو كانوا تخلَّوا عن تلك الفكرة. إننا ننتقل خطوة ما ورائية أعلى وأكثر عمقاً بهذه الفرضيات!

ومن العجيب أن فرانسيس كريك Francis Crick مكتشف الDNA يقرر في كتابه "الحياة ذاتها Life Itself" أن نشأة حياة على الأرض شيء

---

(١) آلة الموحدين لكشف خرافات الطبيعيين، أبو الفداء ابن مسعود، دار الإمام مسلم للنشر، ص ٣٦٥.

(٢) المصدر السابق ص ٣٦٦.

مستحيل تلقائيًّا، وبما أنه الآخر ملحد فهو يلجأ إلى نفس دعوى فريد هويل ويقرر أن فرضية البانسبرميا مخرج جاهز من هذا الإشكال الذي يحمل إلزمات ميتافيزيقية-ماورائية لاهوتية دينية-[1].

عند هذه النقطة يحلو بنا أن نرحل إلى قضية الارتقاء "التطور" ونعرضها على مقصلة العلم، بعد أن أثبتنا سخافة البانسبرميا ومغالطات الملتحفين بالإلحاد، وتأتي محاكمة الارتقاء –التطور- تنزلاً منّا مع الخصم، وإلا فإننا كما قلنا في المقال السابق ليس من المنطقي ولا العقلي أن نتجادل في التطور ولم ينضبط للمخالف النشوء، لكن نعتبر هذا من باب عدم ترك مقولة لقائل، وسنُحاكم في رحلتنا هذه "التطور" إلى قيود العلم لننظر أتهتدي بقيوده أم أن قصور أدلتها جعلها من الذين لا يهتدون!

فإلى الرحلة مع مقالاتنا القادمة إن شاء الله...

(١) Crick, F. H. C. and Orgel, L. E., ١٩٧٣, Icarus, ١٩, ٣٤١.

التطور والبرازخ الحقيقية

مقدمة:

إذا قلت لأحد الملحدين أن نظرية النسبية العامة لأينشتاين قد لا تكون صحيحة خاصةً، وأنها لا تتوافق مع نظرية الكم، فإن الملحد لن يعير لكلامك اهتمامًا وقد يُصدِّق عليه أو يؤكد قوة النسبية العامة، أما أن تتعرض لنظرية التطور أمام الملحد بأدنى نقد فإن الملحد ساعتها سيرتجف ويرتجف مقعده وتتسع حدقة عينه ويصاب بارتشاح وتعرّق شديدين، ثم يمطرك بوابلٍ من الشتائم والازدراء والتسخيف والنقد لمستواك العلمي، وقد تكون مقدمتك تلك بالتشكيك في صحة التطور نهاية الحوار بينكما!

إن الأمر يتجاوز حدود العلم بكثير لدى الملحد ليمس أدق ما ينعقد عليه قلبه، ألا وهو: إيمانه بجميع مقدمات الإلحاد دون تحليلٍ ولا تحرير!

وأحد هذه المقدمات هي صحة التطور قولاً واحدًا!

فأنت إذا أسقطت التطور أسقطت إلحاده بالتبعية، فالكائنات الحية على وجه الأرض مصدرها إما الخلق المباشر وإما التطور ولا بديل ثالث.

ولذا فنقد التطور هو نقد مباشر لعقيدة قومٍ وغرس أمةٍ من البشر تسمى "الملحدين".

وحين يأتي العلم بما لا يشتهي الغرس فإننا لا نسمع كثيرًا عن ذلك، فالأدراج لا تُفتح إلا لما يقوي الغرس، ولذا نادرًا ما تفتح الأدراج!

لكن بعض مَن يحاول أن يتحرى الإنصاف منهم قد يخرج عن النسق فيأتي بعجائب من داخل الأدراج ما كنّا لنتوقعها، ولا لنتوقع كيف يعاني هؤلاء الملاحدة مع إلحادهم، وكيف أنهم يعالجون إلحادهم بين الفينة والأخرى بأصنافٍ من المعالجات، فيتأبى عليهم بمرضه وعجزه!

المهم أن من جملة الذي حاولوا الخروج على النسق كان الملحد اللاأدري الشهير مايكل دانتون Michael John Denton.

ومايكل دانتون عالم كيمياء حيوية بريطاني شهير، حصل على الدكتوراة في الكيمياء الحيوية من الكلية الملكية بلندن King's College London وتفرغ للبحث في الكيمياء الحيوية والجينات في جامعات كثيرة.

ومايكل دانتون هو شخص ملحد لا أدري (agnostic)[١].

وقد تبين له من خلال الأبحاث المتواصلة أن التطور بالفعل نظرية في أزمة! فقام بوضع كتابه الأشهر: "التطور: نظرية في أزمة Evolution: A Theory in Crisis".

واعتبر دانتون في كتابه هذا أن نظرية التطور في وضعها الراهن أشبه بالطعام الذي لم ينضج فحسب، وإنّما لم يُطبخ أصلًا ويراد للآخرين أكله ولو بالقوّة![١]

---

(١) Denton describes himself as an agnostic, and his book was released by a secular publishing house.
Evolution in the Antipodes: Charles Darwin and Australia, Tom Frame, p.٢٩١.

فبحسب دانتون فإن أشكال الحياة كما تصفها الداروينية تعاني فعليًّا من برازخ وفجوات حقيقية عملاقة، ومفاوز شاسعة (great divisions)[٢].

ويُسخف دانتون جملة ما يروج له دعاة الداروينية الجديدة مثل ترويجهم للتشابه الجيني الجزيئي بين الكائنات الحية كعلامة على حدوث التطور فيقول: "إن كل نوع من الأحياء يُعَد -على المستوى الجزيئي- فريداً ووحيداً وغير مرتبط بوسطاء. ومن ثَم فقد عجزت الجزيئات -شأنها شأن المتحجرات- عن تقديم الوسطاء الذين يبحث عنهم علماء الأحياء من دعاة التطور منذ زمنٍ طويل؛ فعلى المستوى الجزيئي، لا يوجد كائن هو جد مشترك أعلى أو كائن بدائي أو راقٍ مقارنةً بأقربائه... **ولا يكاد يوجد شك في أنه لو كان هذا الدليل الجزيئي متاحاً قبل قرنٍ من اليوم، فربما لم تكن فكرة التطور العضوي لتجد أي قبول على الإطلاق**"[٣].

وخلاصة ما ينتهي إليه مايكل دانتون في كتابه أن الداروينية بقيت كما كانت وقت داروين مجرد فرضية تخمينية من دون دعم مباشر بالحقائق وبعيدة عن أي دليل توثيقي[٤].

=

(١) Denton, M. (١٩٨٥) Evolution: A Theory in Crisis, Adler & Adler (من مقدمة كتاب تصميم الحياة، دار الكاتب، ص٧).

(٢) ibid،.

(٣) Theory in Crisis, p.٢٩٠-٢٩١.

(٤) Theory in Crisis, p.٧٧.

ومن عجيب ما يُذكر هنا أن: فيليب جونسون Phillip E. Johnson أستاذ القانون بجامعة كاليفورنيا –والأب الروحي لمدرسة التصميم الذكي– كان ملحدًا، لكنه ترك الإلحاد على أثر قراءته لكتاب "التطور: نظرية في أزمة"(١).

أيضًا مايكل بيهي Michael J. Behe عالم الكيمياء الحيوية الأمريكي الأشهر، وأستاذ الكيمياء الحيوية بجامعة ليهاي Lehigh University في بنسلفانيا، كان ملحدًا معتنقًا للتطور لكنه تحول عن الإلحاد والتطور بالكلية بعد أن قرأ نفس الكتاب "التطور: نظرية في أزمة"(٢).

ثم وضع بيهي في مرحلةٍ لاحقة كتابه الشهير: "صندوق داروين الأسود Darwin's Black Box "(٣).

إذن الهجوم المباشر على التطور ليس مِن قِبل المناوئين للنظرية كما يبدو –وكما يزعم الملاحدة– وإنما مِن قِبل المنتظمين في سِلكها أيضًا.

يقول التطوري إدوارد وايلي Edward O. Wiley أن آخر ما وصلت إليه النظرية بشأن ظهور الأنواع – الإنتواع speciation – ما يلي: "لقد قُتِلت هذه

---

(١) Berkeley’s Radical: An Interview with Phillip E. Johnson, Touchstone Magazine, ٢٠٠٢.

(٢)The Evolution of a Skeptic: An Interview with Dr. Michael Behe, biochemist and author of recent best-seller, Darwin's Black Box, ١٩٩٦.

(٣)http://www.amazon.com/Darwins-Black-Box-Biochemical-Challenge/dp/٠٧٤٣٢٩٠٣١٣.

العملية -أي: الانتواع- بحثا، والحق أنَّ إشكالَ ما هو النوع، وإشكال كيف ظهرت الأنواع، بعيدان عن الحل"[١].

أما الانتخاب الطبيعي عمدة التطور وقوام النظرية وأصل الداروينية الكلاسيكية والداروينية الجديدة، فلم يدخل حتى الساعة دائرة العلم التجريبي ولا العلم الرصدي، وإنما تخمينات أركيولوجية – أحفورية- لا أكثر.

يقول عالم البيولوجيا التطورية والوراثة السكانية الأمريكي الشهير ويليام بروفاين Provine :"الانتخاب الطبيعي لا يعمل على أي شيء. فلا هو ينتخبُ لصالح شيء أو ضده، ولا هو يقهر، ولا يُكثّر، ولا يخلق، ولا يعدّل، ولا يُشكّل، ولا يشغّل، ولا يقود، ولا يصطفي، ولا يحافظ على شيء ما، ولا يدفَع، ولا يكيّف. الانتخاب الطبيعي لا يقومُ بشيء"[٢].

وهي نفس النتيجة التي توّصل إليها الداروينيَيْن الملحدَين جيري فودور Jerry Fodor

وماسيمو بياتيلي بالماريني Massimo Piattelli-Palmarini، حيث لم يجدا بدًا من تخطئة داروين رأساً، وصنَّفا في تهافت مفهوم الانتخاب الطبيعي كتابهما: "الأمر الذي أخطأ فيه داروين What Darwin Got Wrong". وكان مما صدّرا به كتابهما ما يلي: "هذا ليس كتاباً عن الله، ولا عن التصميم

---

(١) Wiley, E.O. (١٩٩٢) the Evolutionary Species Concept Reconsidered, p.٧٩ (من مقدمة كتاب (تصميم الحياة، دار الكاتب، ص٩).

(٢) Provine, W.B. (٢٠٠١) the Origins of Theoretical Population Genetics, p.١٩٩.

الذكي، ولا عن الخلق. ليس أيًّا من أحدنا متورطٌ في شيءٍ من ذلك. لقد ارتأينا أنه من المستحسن أن نوضح هذا منذ البداية؛ لأن رأينا الأساسي فيما سيأتي يقضي بأن هناك خطأ ما – وربما خطأ لدرجة قاتلة – في نظرية الانتخاب الطبيعي"[(١)].

وهكذا يبقى التطور تصورًا حتى عند دعاته قابلاً للنقد والتحري والرصد وليس دينًا أو حِجرًا محجورًا يمتنع علينا الاقتراب منه بناءًا على رغبة الملاحدة في عدم الاقتراب منه!

ومن أجل ذلك سنعرض إن شاء الله في المقالات القادمة نقدًا متخصصًا متأنيًا للتطور بمقصلة العلم لنرى هل سيصمد أم لا!

هل سينضبط بمعايير العلم أم يتحرى التخمينات الافتراضية والاستدلالات الدائرية فينقلب من فرضية إلى علم زائف Pseudo-Science؟

(١) Fodor, J. & Piattelli Palmarini, M. (٢٠١١) What Darwin Got Wrong, p.١٥ (من مقدمة كتاب تصميم الحياة، دار الكاتب، ص١٠).

الصنع المتقن

تبين لعلماء البيولوجيا والكيمياء الحيوية مؤخرًا أن الخلق الإلهي أو الصنع المتقن أو كما يسميه الغرب التصميم الذكي يمكن رصده تجريبيًّا، وبذلك أصبح جزءًا من العلم![١]

وردة فعل الملحدين على أدلة الصنع المتقن ومحاولة إثبات خطأه، تعني أنه خاضع للتقويم العلمي[٢].

ومؤخرًا ظهرت أكثر من خمسين ورقة علمية مُحكّمةpeer-reviewed تتحدث عن الصنع المتقن والخلق الإلهي –التصميم الذكي- في الكائنات الحية، وقد نُشرت الأوراق في أكبر المجلات العلمية في العالم[٣].

وقد تفردت مجلة الطبيعة Nature المجلة العلمية الأشهر على الإطلاق بنشر شيء من هذه الأوراق[٤].

---

(١) عبارة "الصنع المتقن" أولى من عبارة "التصميم الذكي" لأن أصلها قرآني وفيها استغناء عن الإيحاءات المشكلة للتعبير الأجنبي، وما يترتب عليها من ضرورة التحوط والتحرز (عبد الله الشهري من مقدمة كتاب تصميم الحياة، دار الكاتب، ص١٢).

(٢) أي: نظرية تقبل الخطأ تصبح نظرية علمية، يُنظر: "مفهوم القابلية للخطأ **Falsifiability** عند فيلسوف العلوم الأشهر كارل بوبر Karl Popper".

http://en.wikipedia.org/wiki/Falsifiability

(٣) http://www.evolutionnews.org/٢٠١٢/٠٢/intelligent_des٠٥٦٢٢١.html.

(٤) http://www.nature.com/nature/journal/v٤٣١/n٧٠٠٥/full/٤٣١١١٤a.html.

فقضية الصنع المتقن دخلت حيز العلم الرصدي والتجريبي وأثبتت وجودها وبقوة.

أما على المستويات التعليمية والاختصاصية فقد شقت أيضًا أبحاث الصنع المتقن –التصميم الذكي– في الكائنات الحية طريقها، وبدأ علماء الأبحاث في تأسيس المخابر المكرّسة لأبحاث رصد الصنع المتقن، مثلا: أسس دوغلاس أكس Douglas Axe– خبير البيولوجيا الجزيئية سابقاً في جامعة كامبريدج– المعهد البيولوجي Biologic Institute[١].

وأسس روبرت جاكسون ماركس Robert J. Marks II – بروفيسور هندسة الحواسيب والكهرباء الشهير بجامعة بايلور Baylor University – مختبر المعلوماتية التطورية (The Evolutionary Informatics Lab)[٢].

وأصبح لدى كلٍ من جامعات كورنويل Cornell University وستانفورد Stanford University وبيركلي University of California, Berkeley تجمعات طلابية تعرف بنوادي IDEA (التصميم الذكي والحذر من التطور) التي تدعم رصد الصنع الإلهي المتقن في الكائنات الحية[٣].

---

(١) www.biologicinstitute.org.

(٢) www.evoinfo.org.

(٣)http://en.wikipedia.org/wiki/Intelligent_Design_and_Evolution_Awareness_Center.

وتنظر الهيئات التدريسية ومشرّعو الولايات والمحاكم في أمريكا إلى إمكانية تعليم الصنع المتقن في المدارس الحكومية ضمن المناهج العلمية[١].

فالصنع الإلهي المتقن لم يعد دعوى دينية فحسب وإنما قوة علمية تزداد وضوحًا بشواهدها كل يوم ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْآفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴾[٢].

ولم يعد الإتقان الإلهي في الخلق دعوى مجردة من التجريب والرصد بل حقيقة ماثلة في المعامل والبحوث البيولوجية ﴿صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾[٣].

نتقدم بهذه الكلمات بين يدي نقد التطور من أجل التأصيل لحقيقة هامة وهي أنه إذا سقط الأصل سقط الفرع وإذا تهاوى الجذع تهاوت الأوراق، فإذا ثبت الإتقان الإلهي رصديًّا فلا مكان للتطور العشوائي، ولا مكان للفروض والتكهنات والتخمينات التي لا يضعف عقل عن توليدها.

وقد كانت بداية البحوث لرصد الصنع الإلهي المتقن في الكائنات الحية على يد عالم الكيمياء الحيوية الأمريكي مايكل بيهي Michael Behe أثناء قيامه بأبحاثه في جامعة ليهاي Lehigh University في بنسلفانيا.

---

(١) جون بيل(Jon. A. Buell) رئيس مركز الفكر والأخلاق دالاس- تكساس، تصميم الحياة، دار الكاتب، ص١٦.

(٢) سورة فصلت، الآية: (٥٣)

(٣) سورة النمل، الآية: (٨٨)

حيث رصد بيهي خلال دراساته التعقيد المدهش في السوط البكتيري Flagellum، وكيف أن هذا السوط البكتيري الدقيق للغاية يتكون من مائتي جزيء بروتين بالغ التعقيد، إذا جاء أحدها مكان الآخر أو اختفى أحدها، فلن تظهر منظومة السوط البكتيري بالكلية!

ويتحرك السوط البكتيري بمعدل عشرة آلاف حركة في الدقيقة، وهو قادر على عكس اتجاه حركته في جزء من أربعين ألف جزء من الثانية، وحجم الموتور المُحرك للسوط هو واحد على مائة ألف من البوصة، ولم يستطع الإنسان صناعة موتور بحجمه ولا أن يقترب من كفاءته، إلى الحد الذي دفع هاورد بيرج Howard Berg عالم البيولوجيا بجامعة هارفارد إلى اعتبار أن السوط البكتيري أكفأ آلة في الكون، وقام الرياضيون بحساب نشأة هذا السوط بالصدفة فوجدوا أن الاحتمالية تصل إلى واحد في ١٠ أس ١١٧٠ مع أن ذرات الكون كله لا تتجاوز ١٠ أس ٨٠ ذرة[١].

إن اجتماع التفرد مع التعقيد في السوط البكتيري ينتج منظومة التعقيد المتفرد SC specified complexity وهي من بصمات الصنع المتقن!

ولا تخلو خلية في الكائن الحي ولا عضية داخل خلية ولا إنزيم داخل عضية ولا بروتين داخل إنزيم ولا كودون Codon داخل بروتين ولا ذرة داخل كودون ولا كوارك *quark* داخل ذرة، لا يخلو شيء من ذلك من تعقيد متفرد SC، إنها سمة الوجود بأكمله.

---

(١) https://www.youtube.com/watch?v=a_٥FToP_mMY.

﴿ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ ﴾[1].

وقد رصد مايكل بيهي أنظمة حيوية أخرى عالية التعقيد خلال دراسته مثل: آلية "تجلط –تخثر– الدم" والتي بدون هذه الآلية يهلك الإنسان –الجنين والأم– فور ولادته!

وتعتمد هذه الآلية على عشر خطوات تستخدم عشرين مركبًا حيويًّا شديد التعقيد، أيضًا هذه الآلية ترتبط بالزمان والمكان فلا يعقل أن يتخثر الدم في مكان غير مكان النزف أو في وقت متأخر عن الطبيعي –وهذا تعقيد إضافي على الآلية.

أيضًا هذه الآلية تحتاج لتناغم فوري وسريع بين الكبد والأوعية الدموية ونخاع العظم والمخ.

إننا هنا نصل إلى مرحلة الصنع المتقن منذ اللحظة الأولى!

ومن نافلة القول أن قواعد الـDNA التي تحمل شفرة بناء البروتين الذي يُشكل السوط البكتيري وعوامل التجلط وكل منظومة حيوية في الكائن الحي، تحمل هذه القواعد تعقيد متفرد في بنائها وتراتبها والشيفرات التي تحملها يفوق تعقيد كل ما نعرفه من اللغات!

يقرر كارل ساغان في برنامج الكون Cosmos الشهير أن رسالة واحدة من منظومة التعقيد المتفرد SC تصل إلينا من الفضاء سنجزم من خلالها بوجود حياة

---

(١) سورة النحل، الآية: (١٣)

تحاول التواصل معنا! [١]

فلماذا لا نستخدم نفس المقاييس في تقييم الظواهر الموجودة في كوكبنا؟

أليست كل شيفرة داخل جينوم الكائن الحي هي تعقيد متفرد SC ؟

أليس هذا دليلاً على الصنع المتقن بنفس درجة دليل القياس العقلي على رسالة الفضاء الخارجي؟

بل إن الصنع المتقن لا تنتهي عجائبه ولم نحط بشيءٍ منه بعد!!

ولنفهم أمر التعقيد المتفرد داخل جينوم الكائن الحي، فإن بروتين بسيط يتكون من ١٠٠ حمض أميني لابد أن توجد نسخته مشفرة في نواة الخلية بنظام تتابع القواعد النيتروجينية، في الوقت الذي يمكن لهذا التتتابع أن يأتي على ١٠ أس ١٣٠ بديل آخر، أحدها فقط هو القادر على التشفير لهذا البروتين ومن هنا يأتي التعقيد المتفردSC.

إن شريط الDNA يمتاز أيضًا إلى جانب التعقيد المتفرد بالثراء المعلوماتي والقانونية-يُنظم عمل قانون معين داخل الكائن الحي- كما وضحنا بالتفصيل في مقالٍ سابق.

كذلك لا يمكن أن تكون هناك آلية بلا حياة ولا عقل -عشوائية الحساء البدئي للأرض الذي تشكلت من خلاله الحياة كما يزعم التطوريون- تُولد معلومات تحمل الحياة والعقل!

---

(١) Cosmos, Video Source.

فما هو مصدر الكم المعلوماتي الهائل التي تحمله أول شفرة وراثية؟

بل إن أبسط إنزيم يتعامل مع شريط الDNA يتكون من أكثر من عشر جزيئات من البروتين، لو تعطل بروتين واحد أو اختفى أو حدث خلل في سلسلته يتوقف عمل الإنزيم الذي يتوقف تبعًا له عمل شريط الDNA، وبالتالي لن يكون للكائن الحي وجود.

والأغرب من ذلك أن شفرة هذا الإنزيم توجد أيضًا داخل شريط الDNA فالقضية تعقيد غير قابل لأقل قدر من الاختزال أو التدرج إما أن تظهر كل المنظومات فجأةً أو لا يظهر.

يقول[ويليام ستوكس] William Stokes العالم الدارويني: " لو أحضرنا مليارات الكواكب مثل كوكب الأرض، وامتلأت كل هذه الكواكب عن آخرها بالأحماض الأمينية، وانتظرنا عليها مليارات السنين، فلن نحصل على بروتين واحد"[(١)].

فكيف وأبسط كائن حي على الإطلاق –الميكوبلازما Mycoplasma - يحتوي على آلاف البروتينات المتخصصة؟

فالقضية عقلية ورصدية ؛ والتكاسل عن إعمال العقل مصدر رئيس لكل كفر

﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[(٢)].

---

(١) W. R. Bird, the Origin of Species, p.٣٠٥.

(٢) سورة الملك، الآية: (١٠).

الطفرات

يعتمد التطوريون على مبدأ أن الطفرات Mutations قد تغير كل شيء وتنتقل بالكائن الحي إلى كائن آخر تمامًا![1]

هذه الدعوى العريضة إما أن تخضع للرصد العلمي والتجريبي، وإما أن تدخل في سياق حكايا أو حواديت وأحاجي منتصف الليل المسلية ولا مكان ثالث لهذه الدعوى!

لكن بدايةً: ما هي الطفرة؟

الطفرة هي: تغير في نسق الجينوم Genome –المادة الوراثية الخاصة بالكائن الحي–.

والمفترض أن يترتب على الطفرة ظهور وظائف جديدة في الكائن الحي نتيجة بروز بروتينات تخصصية صادرة عن التغير في المادة الوراثية؛ ومع تكاثف الطفرات تتغير خصائص الكائن الحي بالكلية ليتحول إلى كائن آخر.

هذا هو السيناريو الذي يرسمه التطوريون في كتبهم ويروجون له في محاضراتهم، لكن تبقى المشكلة الأساسية هل هذا سيناريو تخيلي أم حقيقة علمية؟

دعونا نتحرى الوضع!

---

(١)http://www.brooklyn.cuny.edu/bc/ahp/BioInfo/MUT/Mut.Definition.html.

حقيقة الأمر أنه خلال عقود من صراع الإنسان مع الفيروسات نشأت ١٠أس ٢٠ سلالة فيروسية جديدة -وهو رقم يعادل نصف عدد الكائنات الحية التي وُجدت على الأرض منذ بدء الخليقة- دون تكوين بروتين واحد جديد[١].

بل إن عمليات ظهور سلالات جديدة لم تُظهر بروتينان جديدان صالحان للعمل في تناغم new protein-new interaction sites ولم يحدث على الإطلاق تجريبيًّا أو رصديًّا ظهور رتب جديدة orders أو طوائف classes أو شُعب (phyla)[٢].

فإذا كنّا عاجزين رسميًّا عن رصد ظهور بروتين واحد الذي هو لبنة أي تغير وظيفي في الكائن الحي -لبنة أي طفرة - فبالأحرى نحن نتحدث عن خيال علمي وليس عن علم له احترامه التجريبي والرصدي!

لكن إذا كانت فكرة الطفرات بهذه الهشاشة فكيف يُروج لها التطوريون - خاصةً الجدد- باعتبارها أصل الأصول في التطور؟

الحقيقة أن الشيء الوحيد الذي نرصده علميًّا، والذي يتحدث عنه التطوريون ليس الطفرات التي هي توليد لبروتينات جديدة، وإنما طفرات وظيفية

---

(١) Michael J. Behe, Darwin’s Black Box.

(٢) ibid،.

في بنية بعض الجينات–تطّفر–، حين يحدث لها خلل في ترتيب قواعدها النيتروجينية نتيجة التعرض لمؤثر ما في الغالب! [١]

فهنا لا يتشكل بروتين جديد وإنما تختل إحدى القواعد النيتروجينية داخل أحد الجينات، فيختل البروتين الناشئ فتختل الوظيفة.

وقد كانت ذبابة الفاكهة عصب ومحور بحوث التطفر حيث تُعَدُّ ذبابةُ الفاكهةِ حالةً ملائمةً لمثل هذه الدراسة، فالجينوم الخاص بها يمكن التلاعب به بسهولة. أضف إلى ذلك مدة حياتها القصيرة ودوراتها التكاثرية المتتابعة. كل ذلك يسمح للعلماء بملاحظة وتتبع العديد من الأجيال.

وبالتالي خضعت ذبابة الفاكهة للعديد من التجارب، حيث تم قذفها بإشعاع لزيادة معدل الطفرات، ولدى العلماء حالياً فكرة واضحة جدًّا عن نوعية الطفرات التي يمكن أن تحصل[٢].

وبعد رصد ملايين الأجيال تبين أنه ليس هناك أيّ دليل على أنَّ الطفرات في ذبابة الفاكهة تخلق بُنًى جديدة، فما قامت به الطفرات هو مجرد تغيير للبنى الموجودة، فمثلاً أنتجت الطفرات أجنحة مجعدة أكبر من المعتاد وأصغر من المعتاد، كما أنتجت مجموعة مضاعفة من الأجنحة –مجموعتان إحداها لا تعمل وهي مؤذية للكائن–، لكنها لم تخلق نوعاً جديداً من الأجنحة.

---

(١)http://www.nature.com/scitable/topicpage/dna-replication-and-causes-of-mutation-٤٠٩.

(٢)http://www.exploratorium.edu/exhibits/mutant_flies/mutant_flies.html.

أيضًا ولّدت الطفرات مُسُوخاً ذات سيقان تنمو حيث يجب أن تنمو قرون الاستشعار، في حالة تعرف باسم سيقان الاستشعار (Antennapedia)[١].

-٦- .

لكن حتى هذه المسوخ ليست إلا مجرد إعادة ترتيب لبُنى موجودة وإنْ كانت بطرق غريبة.

الخلاصة: لم تحول الطفرات ذبابة الفاكهة إلى نوع جديد من الحشرات، فقط أنتجت الطفرات ببساطة ذبابات فاكهة متغايرة.

لكن لتوليد حزمة تكيفية نحن لا نحتاج طفرات ضارة –تطفر- بداهةً ولا حتى بروتين جديد صالح متدرج، إنما الأمر يتطلب تغيرًا منظمًا وكاملاً في آنٍ واحد. ونحن لم نرصد تغيرًا واحدًا فضلاً عن تنظم هذا التغير فضلاً عن ظهوره جملةً واحدة!

الأمر في عبارة واحدة: « **الطفرات حدوتة مُسلية لا أكثر!** ».

ولو قمنا بتحليل الأمر عقليًّا، فإنتاج بروتين واحد يتطلب معلومات وظيفية جديدة، فعندما ينشأ شريط داخل الDNA وهذا الشريط يقوم بتوليد بروتين جديد يؤدي وظيفة جديدة للكائن، فنحن بصدد شريط معلومات ظهر فجأة داخل الDNA فالأمر معلومة information قبل أن يكون مجرد تراص لقواعد نيتروجينية!.

---

(١) تصميم الحياة، د.ويليام ديمبسكي ود.جوناثان ويلز، ترجمة د.مؤمن الحسن وآخرين، دار الكاتب ص٨٣.

فالقواعد النيتروجينية مثل حروف اللغة كي تنتج جملة صحيحة تعطى معنًى صحيح يستقر في مكان مناسب لابد من معاني معينة تستقر في نفس واضعها، ثم يجمع واضعها الحروف التي تشكل هذا المعنى!

وفي الواقع لا يوجد دليل على إمكانية عزو المعلومات داخل الDNA إلى مجرد طاقة ومادة أبداً، وكما قال نوربرت وينر Norbert Wiener أحد مؤسسي نظرية المعلومات: "المعلومات هي معلومات، ليست مادة أو طاقة، لا يمكن لأي مذهب مادي لا يعترف بهذا أن يستمر هذه الأيام"[١].

فالمعلومة مستقلة عن تراص الحروف وعن تراص القواعد النيتروجينية بل هي معنى قبل أن تتحول إلى شيء مادي يتم الترميز له بمجموعة من الحروف في اللغة أو القواعد النيتروجينية في الجينوم DNA .

فالمعلومات في النظم البيولوجية مستقلة عن مكوناتها المادية.

فما هو مصدر المعلومات المطلوبة لبناء المعنى والذي يتولد عنه الشيفرة التي يجري ترميزها داخل الجينوم؟

هذا هو السؤال الذي إن لم تتم الإجابة عنه فلا معنى لتحليل ما بعده!

فالعقبةُ هنا أكثرُ من مجرد بنية بيولوجية جديدة من نوعٍ ما، إنها معلومة ستظهر في صورة شفرة تتحول هذه الشفرة إلى بروتين، ثم يؤدي هذا البروتين وظيفة متخصصة لتظهر في النهاية المعلومة المطلوب ظهورها في الكائن الحي بمنتهى الضبط والدقة!

(١)Norbert Wiener, Cybernetics, p.١٣٢ (المصدر السابق ص ٨٣).

والمصدر الوحيد المعروف القادر على توليد معلومات هو بداهةً الحكمة والإرادة والقدرة والصنع المتقن الذي هو بكلمة واحدة "الخلق" ﴿فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ﴾[1]!

فإذا قمنا بتحليل قضية الطفرة بعيدًا عن الرصد العلمي فالأمر بدهيًّا يحتاج إلى معلومة والمعلومة لا يتيحها إلا الخلق!

وهنا تبرز أكبر بديهيات أدلة الصنع المتقن من قلب العلم والرصد المباشر! لكن ستظل للسفسطة مكانها في العقول وللتخمينات المرجوحة أولويتها لأهل الأهواء!

---

(١) سورة المؤمنون، الآية: (١٤)

في البدء كانت الأحفورة

بينما تقوم نظرية الداروينية الجديدة "التطور" Evolution على مسألة الطفرات والتي تعرضنا لها بالتفصيل في المقال السابق، فإن قوام الداروينية الكلاسيكية Darwinism على الحفريات –الكائنات المتحجرة fossils–، وإن كانت إحدى النظريتين لا تستغني عن حجج الأُخرى وأدلتها!

ولقد تعرَّفنا اليوم، وبعْدَ ١٥٠ عاماً من نشر نظرية التطور لداروين، على آلاف الكائنات المتحجرة التي لم تكُن معروفة لداروين. لكن بقيت الفجوات بين المجموعات التصنيفية الرئيسية للحيوانات عصيَّةً على الملء. فمنذ أن ظهرت نظرية داروين وعلماء الأحافير في حيرة من أمر الندرة الشديدة في الأحافير الانتقالية.

كان من الممكن تفهُّم وجود الأمل أيامَ داروين بأن تظهر الروابط المفقودة مع الوقت، حين كان علم الأحافير في بدايات تشكُّله. حيث أن علماء الأحافير في ذلك الوقت لم يقوموا بالبحث كما ينبغي.

أما اليوم فقد استُخرجت أعداد مذهلة من الأحافير، وسرعة اكتشاف المزيد منها تفوق قدرتنا على تصنيفها.

وكلما ازدادَ عددُ الأحافير المكتشفة من قِبل علماء الأحافير ازداد وضوحُ تعارض الأحافير المكتشفة مع ما تفترضه نظرية داروين. إنَّ نمطَ الأحافير المكتشفة ليس نمطاً متشعّباً بشكلٍ تدريجي، بل إنَّه يشكل عناقيد مجتمعة تفصل بينها فراغات. قد لا يكون ذلك مفاجئاً كونه نفس النمط الذي نجده بين الكائنات الحية اليوم. فمثلاً توجد العديدُ من سلالات الأحصنة لكنها منعزلةٌ

بشكل واضح عن الماشية، وبالمثل يوجد العديد من تنوعات الذرة، لكن لن يصعبَ على أحد التفريق بينها وبين القمح، وتتجمع التنوعات حول نمطٍ واحد، بدلاً من ظهورها متدرجة كما تفترض الداروينية[١].

فلا يوجد مثلاً سلاسل متدرجة من الأحافير تملأ الفراغ بين الأسماك والبرمائيات أو بين الزواحف والطيور، بل تظهر الأحافير كاملة النمو والتمايز والوظيفة من أول ظهورٍ لها في السجل الأحفوري. وتُظهر أحافير الأسماك الأولى كل الصفات المعروفة للأسماك اليوم. وكذلك تُظهرُ الزواحفُ في السجل الأحفوري كلَّ صفات الزواحف الحية اليوم. هذا النمط ظاهر عبر السجل الأحفوري ككل.

فالسجل الأحفوري لا يقدّمُ أيَّ دليلٍ على أنَّ الشُعب المنقرضة مرتبطة مع بعضها بمراحل تطورية وسيطة.

إن الأشكال الانتقالية التي يُزعم وجودها. عددها اليوم أقلَّ مما كان معروفاً أيام داروين. فالتطوريون مثلاً اضطروا لنفي بعض الحالات التقليدية المشهورة للتغيرات الداروينية في السجل الأحفوري، كتطور الحصان في أمريكا الشمالية بعد ظهور المزيد من المعلومات المفصلة حول ذلك[٢].

---

(١) تصميم الحياة، د.ويليام ديمبسكي ود.جوناثان ويلز، ترجمة د.مؤمن الحسن وآخرين، دار الكاتب ص١٠٣-١٠٤.

(٢)http://www.darwinismrefuted.com/natural_history_٢_١٢.html.

فالزعم بأن الزمن كفيل بإظهار الحلقات المفقودة جاء بنتيجةٍ عكسية غير مُتوقعة!

يقول عالم الفيزياء النظرية –والحاصل على الدكتوراة في فيزياء الكم النظرية– أميت جوسوامي Amit Goswami أن: "أنصار نظرية التطور يفعلون اليوم كما كان يفعل أنصار نظرية أن الأرض هي مركز الكون، فهم الآن يمارسون نفس عناد السابقين، حيث كان السابقون يقومون برسم عدد لا نهائي من الحلقات والحلقات، ليبرروا دوران الأفلاك حول الأرض ليتمكنوا من التمسك بنظريتهم، وأنصار الداروينية يفعلون اليوم الشيء نفسه تجاه أي اكتشاف يُغير أو يناقض مبادئ النظرية ومبادئ آليتها، بأن يقوموا بتعديلات لا نهائية للنظرية الأُم لتواكب تلك الاكتشافات، فكان المفترض لو أن الأمر كما يزعمون أن تتحقق توقعات النظرية في كل كشف أحفوري جديد لكن الحاصل أنه لا شيء يتحقق البتة، بل إن كل كشف جديد يتطلب رسم دوائر جديدة لا أكثر، وصارت النظرية حبلى بالدوائر عاجزة عن التنبؤ بشيء ولا يقدم الكشف الأحفوري إلا إضافة دوائر جديدة حول النظرية.

–ويقول في موضع آخر على موقعه الرسمي أن– الجميع يعلمون الآن بشأن الفجوات الأحفورية، وخلافاً لتوقعات عدد كبير من علماء الأحياء، لم تمتلئ الفجوات الأحفورية يومًا ما حتى مع آلاف آلاف الحلقات الوسيطة المتوقعة!

إذن ما هو الدليل–على النظرية–؟

ما الذي يحاول هؤلاء إثباته بالضبط؟"[١].

وهي نفس النتيجة التي توصل لها كولين باترسون Colin Patterson -من كبار علماء الحفريات-، والذي عمل في مجال التطور طيلة عشرين سنة، ثم قال: " لقد استيقظت ذات يوم واكتشفت أنني بعد عشرين عامًا من العمل في التطور لا أجد دليلاً عليه سوى تخمينات اعتباطية".

وقال: " نعم أتفق معكم تمامًا، لا توجد أحفورة واحدة نستطيع أن نجادل بشأنها"[٢].

---

(١) Everybody is by now familiar with the fossil gaps. Contrary to a great number of biologists' expectations starting with Darwin, the fossil gaps have never filled up with the thousands upon thousands of predicted intermediates. The vast majority of the gaps are real; about this there is no doubt. So what do they signify? What do they prove.

Neo-Darwinists, and the majority of biologists, fall into a dogmatic worldview insisting that the fossil gaps mean nothing. They are sold on a promissory evolutionism—faithfully believing that eventually the gaps will fill up.

http://www.amitgoswami.org/٢٠١٤/١١/٠٥/darwins-mistake/

(٢) "I fully agree with your comments on the lack of direct illustration of evolutionary transitions in my book. If I knew of any, fossil or living, I would certainly have included them. . .I will lay it on the line, There is not one such fossil for which one might make a watertight argument."

—Colin Patterson, (Creation Science Foundation, Revised Quote Book, ١٩٩٠).

لقد أوضح كولين باتريسون وغيره أن مشكلة التطور تقوم على الفروض الفلسفية والأُطر التأويلية لا أكثر، ولو كانت النظرية تملك دليلاً علميًّا واحدًا لتوقف الجدل بشأنها منذ زمنٍ بعيد.

أما الملحد اللاأدري الشهير ديفيد بيرلنسكي David Berlinski فيرى أن التطور طبقًا لمعطياتنا الأحفورية من مفهوم رياضي-وهو مجال تخصصه- مستحيل! حيث يؤكد أن التطور وهم وخرافة من منظور إحصائي رياضي، وطبقًا له فإنه عندما تقرر البقرة أن تتحول إلى حوت -كما يفترض التطور- فإنها بحاجة إلى ٥٠ ألف تغير جسدي بها، ولابد أن تكون هذا التغيرات متزامنة، ولابد أيضاً من وجود ملايين الكائنات الوسيطة في كل تغير، والنتيجة التي نعرفها جميعاً أنه لا وجود لأيٍ من هذه الكائنات الوسيطة وفي النهاية يبقى السؤال:مَن هو الموجه لهذا التغير؟[١].

من العدل أنْ نقولَ أنَّ علماء الأحافير قد شغلوا أنفسهم بجهودٍ ملحمية لاكتشاف الروابط المفقودة باحثين في آلاف السفوح الرسوبية وفي أطنان الصخور الصلبة (ليس فقط الأحجار الرملية أو الصخور الطينية بل حتى في صخور الكوارتز التي تحتاج لتقطيعها إلى شرائح رقيقة)[٢].

نستنتج أنَّ ندرةَ الأحافير الانتقالية لا تعود لنقصٍ متأصلٍ في السجل الأحفوري، ولا إلى قلّة الجهود المبذولة لاكتشافه.

(١) http://www.youtube.com/watch?v=OMw٣OzQfVvI.

(٢) تصميم الحياة، د.ويليام ديمبسكي ود.جوناثان ويلز، ترجمة د.مؤمن الحسن وآخرين، دار الكاتب ص١١٦.

خلاصة ما في الموضوع أن: الداروينية لا تملك الدليل إلَّا من غياب الدليل الأحفوري الذي وضعت النظرية من أجل تفسيره.

وحين بذل العلماء جهوداً جبارة في الأحافير فمن العدل أن نتخلى عن مثالية التطور كحقيقة علمية لتفسير تنوع الكائنات الحية.

يعترف التطوري الشهير هنري جي Henry Gee والذي يعمل محررًا علميًّا في مجلة الطبيعة Nature أيضًا أن هوس صحة التطور من خلال الأحافير أصبح سرابًا، فيقول: "لا تُدفن الأحفورة مع شهادة ميلادها، وأصبح من المستحيل عمليًّا محاولة ربط هذه الأحافير في سلاسل مقبولة من نمط سبب ونتيجة... إنّ أخذ سلالة من الأحافير وادعاء أنها تمثل خطًّا تكاثريًّا لا يعتبر فرضية علمية قابلة للاختبار، وإنما هو تأكيد على قصة تحمل نفس القيمة العلمية للقصص التي تروى قبل النوم"[١].

(١) Henry Gee, In Search of Deep Time, p.١١٦ (م. س. ص١٣٥).

التشابه الجيني بين الإنسان والشمبانزي

قوام نظرية التطور على الأحافير والطفرات والتشابه الجيني بين الإنسان والشمبانزي، والمسألتان الأولى والثانية فصّلنا فيهما في المقالات السابقة وبقيت مسألة التشابه الجيني بين الإنسان والشمبانزي والتي نُفرد لها هذا المقال!

يزعم التطوريون أن نسبة التشابه الجيني بين الإنسان والشمبانزي تقترب من ٩٨٪ وهذا يقطع بوجود السلف المشترك(١).

حيث تُؤخذ هذه المعلومة كدليل قاطع على تطور الإنسان والقرود من أسلافٍ مشتركة!

لكن ماذا يعني هذا التشابه الجيني؟

دعونا في البداية نُفَصِّل الأمر: يتكون الجينوم من أربعة أسس نكليوتيدية *Nucleotides* فقط وهي C وG وT وA وبتراتب هذه القواعد جنبًا إلى جنب تعطي شفرات لإنتاج بروتين. فمثلاً بروتين الهيموجلوبين يتكون من آلاف القواعد النكليوتيدية التي تصطف بترتيب معين ودقة متناهية، ولو تبدّل حرف مكان آخر أو سقط حرف فإن هذا يعني خلل في الهيموجلوبين الناشئ. فالأسس النكليوتيدية مثل حروف اللغة عندما تجمع بعض الحروف تستطيع تكوين جملة مفيدة، ولو سقط منها حرف فقد ينقلب المعنى تمامًا.

هذه المقدمة التبسيطية تطرح ثلاث قضايا في غاية الأهمية؛

---

(١)http://www.sciencedaily.com/releases/٢٠٠٦/١٠/٠٦١٠١٣١٠٤٦٣٣.htm.

القضية الأولى: أن التشفير نتاج خلق. فعندما يتم تشفير معلومة ستُستخدم في مرحلةٍ لاحقة –بناء بروتين متخصص–، هذا يعني بالبداهة العقلية أن واضع التشفير يعلم قيمة هذه المعلومة ويعلم كيف توضع وبأي ترتيب ستوضع، فالتشفير هو منظومة معلوماتية Know How وليس منظومة مادية والمعلومة لا ينتجها إلا عالم وقادر وصانع وقبل ذلك بداهةً هو موجود، فالتشفير لمن تدّبر يُسقط فكرة الإلحاد ككل!

القضية الثانية: ما المانع أن يصنع الخالق بنفس الطريقة أغلب المنظومات الحياتية؟

أليست هذه شهادة على وحدة الصانع؟

﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾[١]!

القضية الثالثة: توجد أربع قواعد نكليوتيدية كما أوضحنا، وبالتالي فإن أي تراص عشوائي سيأتي بدرجة تشابه تتجاوز ٢٥٪، وبناءً على ذلك فأي دعوى تزعم التشابه لابد أن تأخذ هذه النسبة في الحسبان.

أضف إلى ما سبق أن: جينوم الشمبانزي أكبر بنسبة ١٠٪ من جينوم الإنسان[٢].

وبالتالي فإذا قمنا بترتيب DNA الخاص بالإنسان مع DNA الخاص

(١) سورة الملك، الآية: (٣)

(٢)C. Pellicciari, D. Formenti, e. A. Redi, and M. G. Mandfredi Romanini, DNA Content Variability in Primates, Journal of Human Evolution ١١, p.١٣١-١٤١.

الشمبانزي فإن ١٠٪ من DNA الشمبانزي لن يكون له مقابل عند الإنسان، وعند النظر إلى المسألة من هذه الزاوية نجد أنه لا بد أن يكون الفرق بين DNA الشمبانزي والإنسان ١٠٪ كحد أدنى على الأقل[١].

لكن مؤخرًا أشارت التقديرات إلى أن جينوم الإنسان والشمبانزي أكثر تقاربًا من ناحية الحجم، وبغض النظر عن التقديرات الحالية، فدعوى التقارب بنسبة ٩٨٪ ظهرت حين كانت الحسابات تقول بوجود فارق ١٠٪ في حجم الجينوم بين الإنسان والشمبانزي فكيف استقام لهم ذلك؟

لكن على كل حال فإن القول بتشابه DNA الإنسان والشمبانزي بنسبة ٩٨٪ قول مضلل في الأصل؛ وهو يعود إلى العام ١٩٨٧ حين قام عالمان تطوريان أحدهما يدعى سيبلي Sibley والآخر يُدعى ألكوست Ahlquist بدراسة ٣٠-٤٠ بروتين في الشمبانزي ومقارنتها بتلك الموجودة في الإنسان، واستنتجا أن نسبة التشابه في الجينات بين الإنسان والشمبانزي هي ٩٨.٥ ٪ وتم نشر البحث في مجلة تطورية شهيرة آنذاك[٢].

لكن تطايرت أنباء بحث سيبلي وألكوست وسارت به الركبان في شتى بقاع الأرض، حيث هناك قوافل من المتعطشين لأي دليلٍ يثبت لهم صحة التطور فوجدوا في بحث سيبلي وألكوست مبتغاهم.

المزعج في هذا البحث أنه قديم فقد تم عام ١٩٨٧، ولم نكن قد انتهينا بعد

(١) تصميم الحياة، د.ويليام ديمبسكي ود.جوناثان ويلز، ترجمة د.مؤمن الحسن وآخرين، دار الكاتب ص٣٢.

(٢) Sibley and Ahlquist, Journal of Molecular Evolution, vol. ٢٦, pp. ٩٩-١٢١.

من مشروع الجينوم البشري ولا حتى قد ابتدأنا فيه! [١]

أيضًا يوجد في الإنسان ما يزيد على ١٠٠ ألف بروتين مُشفر داخل DNA فلا يُعقل أن يتم تعميم دراسة ٣٠ -٤٠ بروتين على ١٠٠ ألف بروتين، ثم الخروج بنتيجة شمولية كتلك النتيجة التي رُوِّجَ لها من قِبل التطوريون، إنه نوعٌ من التدليس لا أكثر.

ومما يُلفت النظر أن هذا البحث جرى من خلال تجربة قليلة الاستخدام وهي تجربة DNA التخليطي أو التهجيني DNA Hybridization، وهي تجربة غير دقيقة –حيث يتم تسخين جزء من جينوم الإنسان والشمبانزي اللذان يشفران ل٣٠-٤٠ بروتين ثم سُمح لهما بالاقتران وقياس نسبة الأسس النكليوتيدية المتزاوجة-، وقد قام أحد العلماء ويدعى ساريش Sarichباستخدام نفس التجربة على نفس البروتينات التي قام بها العالمان

---

(١) بدأ العمل في مشروع الجينوم البشري Human Genome Project عام ١٩٩٠ وتم الانتهاء منه عام ٢٠٠١ تحت قيادة عالم البيولوجيا الشهير فرانسيس كوليتز Francis Collins، وفي أثناء العمل في المشروع ترك فرانسيس كوليتز الإلحاد بعد أن تأمل منظومة الخلق الإلهي في تجلّياتها البديعه وكيفية تشفير الوظائف الحيوية بمنتهى الضبط والدقة.

http://en.wikipedia.org/wiki/Human_Genome_Project

وفي مرحلةٍ لاحقة وضع فرانسيس كوليتز كتابه لغة الإله The Language of God.

وقد خرج العالم الشهير مايرز Gene Myers في الأخبار عام ٢٠٠١ بعد أن تم الانتهاء من مشروع الجينوم البشري وتحدث عن الميتافيزيقيا التي تخترق العلم وعن ثمة خالق لابد من وجوده حتماً ونشرت جريدة سان فرنسيسكو كرونيكل San Francisco Chronicleصبيحة ذلك اليوم تحت عنوان :

Human Genome Map Has Scientists Talking About the Divine

علماء خريطة الجينات البشرية يتحدثون عن الخالق ..!!

http://www.sfgate.com/business/article/Human-Genome-Map-Has-Scientists-Talking-About-the-٢٩٥٠٤٤٥.php

واكتشف أن مصداقية أبحاثهم مثيرة للجدل، فالبيانات مبالغٌ فيها إلى حدٍ كبير، ونسبة التشابه أقل من ذلك بكثير(١).

وبغض النظر عما جرى في الثمانينيات والدعوى العريضة التي لم تكن توازيها دقة بقدرها، بغض النظر عن كل ذلك؛ فمشكلة دراسة تراص القواعد النكليوتيدية والتي يبلغ عددها أكثر من ثلاثة مليارات قاعدة أمر عسير للغاية، وقد وصفت مجلة أبحاث الجينوم Genome Research العلمية المحكّمة المرموقة أن مقارنة جينوم الإنسان بذلك الخاص بالشمبانزي هو يشبه البحث عن إبرة في أكوامٍ من القش(٢).

وعلى الرغم من تسليم المجلة بنسبة تقارب بين الإنسان والشمبانزي تصل إلى ٩٦٪ وليس ٩٨٪ إلا أنها تعترف بأن التراص بين القواعد النكليوتيدية ليس كل ما في الأمر.

فالقضية "معلومات" مُشفرة لوظائف متخصصة ستظهر في الكائن الحي كما فصّلنا منذ قليل.

ثم إن مسألة التشابه في القواعد النكليوتيدية والتركيبية والوظيفية بين الكائنات الحية بديهة طبيعية لا تحتاج للتدليل عليها بالإثبات أو النفي!

---

(١) Sarich et al. ١٩٨٩. Cladistics ٥:٣-٣٢.

(٢) Comparing the human and chimpanzee genomes: Searching for needles in a haystack
http://genome.cshlp.org/content/١٥/١٢/١٧٤٦.full.

فهي ضرورة حيـاتية لازمة للسلسلة الغذائية والهرم الغذائي، فما لا يريد أن يدركه التطوريون أن التشابه أمر حياتي حتمي، فمثلاً لنفترض أن جزيء البروتين الذي يتكون من قواعد نيتروجينية وجزيئـات سُكر خماسية في الإنسان هو مثلاً قواعد زرنيخية وجزيئـات كوبلت في البقر، فساعتها لن تكتمل السلسلة الغذائية ولن يستفيد الإنسان من البقر وسيكون كل كائن حي بمثابة سُم للكائن الحي الآخر، وتنهار منظومة الأسباب التي خلق الله بها العالم وتتوقف الحياة. فالتشابه ضرورة غذائية حتمية يعرفها الناس بالبداهة لاكتمال السلاسل الغذائية، وهو دليل على وحدة الصانع لو تدّبرنا!

والتشابه الشديد مع الإنسان ليس أمرًا حصريًّا بالشمبانزي! لكن هم يريدون التركيز على ذلك لدعاوى أيديولوجية ومقدمات عقائدية معلومة. وإلا فنسبة التشابه بين الإنسان والدجاج عالية للغاية طبقًا لبحث أجرته جامعة كامبريدج University of Cambridge[١].

أيضًا نسبة تشابه الجينوم الخاص بالإنسان مع ديدان النيماتود nematode يصل إلى ٧٥٪ وهذا حتمًا لا يعني أن ٧٥٪ من جسد الإنسان مطابق للديدان[٢].

ونسبة التشابه بين الإنسان وذبابة الفاكهة ٦٠٪.

وإذا أردت المزيد من العجائب في تشابه الجينوم بين الكائنات الحية فخذ هذه المعلومة المدهشة والمضحكة في آن:

---

(١) New Scientist, v. ١٠٣, ١٦ August ١٩٨٤, p. ١٩.

(٢) Hürriyet daily, ٢٤ February ٢٠٠٠.

نسبة التشابه بين الإنسان والفأر ٩٩٪ ! [١].

فهل الإنسان أقرب للفأر من الشمبانزي؟

ألسنا لو اعتمدنا أحجية التشابه الجيني تلك، يمكننا أن نسقط بها شجرة التطور ككل؟

هل تريد المزيد؟

نسبة التشابه بين الإنسان ونبات الموز يزيد على ٥٠٪ ! [٢]. -١٢-

وفي مجلة ساينتيفك أمريكان Scientific American التطورية الشهيرة عدد ديسمبر ٢٠٠٩ والتي تقوم بتعريبها مؤسسة الكويت للتقدم العلمي أخذت المجلة لها عنوانًا رئيسًا في ذلك العدد وهو: ما الذي يجعلنا بشرًا what makes us human؟، وقامت الباحثة كاتبة المقال بدراسة متتالية الDNA في أحد الجينات ويُطلق عليه HAR١ في كلٍ من الإنسان والشمبانزي والدجاج، واكتشفت أن المتتالية لل DNA بين الشمبانزي والدجاج تختلف في قاعدتين فقط من أصل ١١٨ قاعدة بينما يصل الاختلاف بين الإنسان والشمبانزي إلى ١٨ قاعدة[٣].

وهذا يُشكك في دلالة DNA وقدرته على التمييز بين الكائنات الحية المختلفة، وأن الأمر لا يعدو كونه مجرد متتاليات لقواعد نيتروجينية، وليس معنى

---

(١) http://www.nature.com /nature /journal/ v٤٢٠/ n٦٩١٥/ full/ ٤٢٠٥٠٩ a.html.

(٢)http://seriousfacts.com/٥٠-of-human-dna-is-the-same-as-a-bananas/.

(٣) مجلة Scientific American عدد ديسمبر ٢٠٠٩ تعريب مؤسسة الكويت للتقدم العلمي.

أن مقاس حذاء الإنسان أقرب لمقاس حذاء التمساح من مقاس حذاء الفيل أننا والتماسيح من أصل واحد، فهذه سطحية في البحث.

ولذا يقول هنري جي Henry Gee المحرر العلمي في مجلة الطبيعة Nature الشهيرة عن مسألة وجود نسب بين الإنسان والحيوان بناءً على تراص القواعد النكليوتيدية عن أن الأمر لا يعدو مجرد حدوته، فيقول: " وكل ما في الأمر أنها مجرد حكاية أو حدوته من أحاجي منتصف الليل المسلية التي قد تكون مُوَجِّهَةً أو مُرْشِدَةً للإنسان في كثيرٍ من الأحيان، إلا أنها ومع ذلك لا تستند لأيّ أساسٍ علمي"[١].

فمسألة النسب والقرابة بين الإنسان والحيوانات بناءً على تراص القواعد والمتتاليات وهم وخرافة؛ ونحن في حاجة ماسة وعاجلة إلى عدم الدفع بالعلم إلى دائرة الخرافة[٢].

والعلماء عليهم أن يكفوا عن أن يكونوا علماء أنســاب .

فالإنسان لا يمكن تصنيفه كالأشياء بمجرد دراسة مجموعة المتتاليات النكليوتيدية التي تُكون الجينوم الخاص به، أو بدراسة حجم الجمجمة أو بدراسة خطوط الكف!

---

(١) Henry Gee, In Search of Deep Time, New York, The Free Press, ١٩٩٩, p.١١٦-١١٧.

(٢)John R. Durant, "The Myth of Human Evolution", New Universities Quarterly ٣٥.

الإنسان لا يمكن فهمه أو قولبته بدراسة متتالياته ومقارنتها بغيره، وإلا فلا نلوم على مَن يستخدم تفاصيل الوجه أو مقاس الجمجمة في تحديد الشخصية وتصنيف البشر فكلها علوم زائفة Pseudo-science وحريٌّ بالعلم أن يتخطاها حتى يُبقى على احترامه!

التطور الصغير المفقود

ظهرت ملايين الأنواع الجديدة من الكائنات الحية لا شك في ذلك.

تضع هذه الحقيقة مشكلة أمام التطور الدارويني، فبحسابٍ صغير وطبقًا لما تفترضه الداروينية فإن عدد أنواع الكائنات الحية على زمن ظهورها يعني ببساطة كائن حي جديد يظهر للوجود كل بضعة ساعات. هذه حقيقة لا علاقة لها بكونك تطوريًّا أو رافضًا للتطور![1]

لكن هذه الحقيقة لم نتحرى ولو جزء يسير منها يقنعنا أننا نمضي في الاتجاه الصحيح .

فلم يتم رصد تحول كائن حي إلى كائن حي آخر على الإطلاق، وقد ذكر عالم الجراثيم بجامعة بريستول آلان لينتون Alan H. Linton عام ٢٠٠١م حقيقة هذا الأمر فقال: "لا يوجدُ أي منشور علمي يدَّعي تطورَ نوعٍ ما إلى نوعٍ آخر. والجراثيم هي الشكل الأبسط من أشكال الحياة المستقلة، وهي مثاليةٌ لمثل هذا النوع من الدراسات فزمن الجيل ٢٠ – ٣٠ دقيقةً ويمكنُ الحصولُ على الجماعات خلال ١٨ ساعة. وخلال ١٥٠ عامًا من انطلاق علم الجراثيم لم يسجَّلْ تطور نوع جرثومي إلى نوع آخر نهائيًّا، ونظرًا لانعدام الدليل حول تغير الأنواع في

(١) يوجد على ظهر الأرض حاليًا ما يزيد على ٣ مليون نوع من الكائنات الحية، وأضعاف هذه الأنواع منقرضة بحسب الداروينية، وأضعاف أضعاف هذه الأرقام المفترض أنها حلقات وسيطة، بحساب هذه الأعداد على زمن ظهورها منذ لحظة الانفجار الكبير، فإن الناتج هو كائن حي يظهر للوجود لأول مرة كل بضعة ساعات.

الشكل الأبسط من أشكال الحياة وهو الجراثيم، فلن يكونَ مستغربًا فقدانُ الدليل حول تطور الكائنات الحية الأرقى متعددة الخلايا"[١].

وهذه كانت نفس النتيجة التي توّصل لها عالما الأحياء التطورية مارغيليوس Lynn Margulis وساغان Dorion Sagan حيث ذكرا في عام ٢٠٠٢ ما يلي: "لمْ نستطعْ اقتفاءَ دليلٍ مباشرٍ على الانتواع –ظهور الأنواع الجديدة– سواءً كان في جزر الجالاباغوس البعيدة Archipiélago de Colón أو في أقفاص مختبرات خبراء ذبابة الفاكهة أو في الرسوبات المتكدسة". لا يزالُ الدليلُ الحاسمُ على التطور مفقودًا[٢].

لقد كان داروين Charles Darwin يظن منذ قرابة القرن ونصف من الزمان أنَّ الأنواعَ طيِّعَةٌ للتغيير بشكلٍ لا نهائي، فهي تتغير تطوريًّا بلا انتهاء. إلَّا أنَّ عقوداً من الأدلَّة المتجمعة قد تحدت هذا الاعتقاد.

فكل ما رصدناه هو مجرد تغيرات ضمن النوع الواحد، فزيادةُ نسبةِ العثّ الإنجليزي peppered moths الغامق خلال فترة الثورة الصناعية لم يكن أكثر من مجردُ تنوعٍ لوني ضمن نوع العث نفسه، وقد وفَّرت لنا علوم الهندسة الوراثية

---

(١) CAlan Linton, Scant Search for the Marker, the Timer Higher Supplement (April ٢٠,٢٠٠١) Book Section ٢٩.

(تصميم الحياة، د.ويليام ديمبسكي ود.جوناثان ويلز، ترجمة د.مؤمن الحسن وآخرين، دار الكاتب ص١٥١-١٥٢).

(٢) Lynn Margulis and Dorion Sagan, Acquiring Genomes: A Theory of the Origins of Species, p.٣٢ (م.س. ص١٥٢).

أبقارًا وفيرةَ اللحم ودجاجاً ألذَّ في الطعم وذُرَةً أغنى بالبروتين؛ لكن الماشيةَ ظلَّت ماشية والدجاج ظلَّ دجاجاً والذُّرَة ظلت ذرة.

كل ما في الأمر أنه ازدادَ إنتاج النباتات والحيوانات المدجنة بشكلٍ كبيرٍ من خلال استغلال التنوع الوراثي؛ لكن في كل الحالات استنفذ التنوع أقصى حد ولم يعدْ بالإمكان حصول المزيدِ من التغيُّرِ فيها.

وفي النهاية لم يستطعْ أحد أبداً أنْ يثبتَ إنتاج علوم الهندسة الوراثية لنوعٍ واحدٍ جديد فضلاً عن إنتاج الأعضاء الجديدة والنظم الجسدية المطلوبة من أجل حصول التطور الكبير.

فكل الأدلة تشير إلى نتيجةٍ واحدة: لم نر حتى الآن أي انتواعٍ أولي فضلاً عن أن نرى تطوراً كبير المستوى[١].

لكن هنا قد يتسائل أحدهم قائلاً: أليست مقاومة الباكتريا للمضادات الحيوية صورة أولية مبسطة من تغير الأنواع في الكائنات الجرثومية؟

في حقيقة الأمر هذا ليس تطورًا بالمفهوم الاصطلاحي للتطور، بل هو أقرب إلى الانتكاسة Devolution منه إلى التطور Evolution، ففي مقاومة الباكتريا للمضادات الحيوية ما يحدث هو الانتقال الأفقي للجينات Horizontal Gene Transfer والمقصود به هو انتقال الجينات المسئولة عن مقاومة الباكتيريا ضد المضاد الحيوي من خليةٍ إلى خليةٍ أخرى، وهي خاصية شائعة في

---

(١) تصميم الحياة، د.ويليام ديمبسكي ود.جوناثان ويلز، ترجمة د.مؤمن الحسن وآخرين، دار الكاتب ص١٥٥-١٥٦ بتصرف.

البكتيريا، و انتقال جين المقاومة من خلية بكتيرية إلى خلية بكتيرية أخرى يؤدي إلى اكتساب هذه الأخيرة لصفة جديدة لم تكن موجودة فيها من قبل.

نضيف إلى هذا حقيقة هامة؛ وهي أن الباكتيريا التي تكتسب جينات المقاومة ضد المضادات الحيوية (أو أية جينات أخرى) تظل كما هي حاملة لكل الصفات والسمات الطبيعية والبيولوجية لنوعها وفصيلتها، ولا تتحول إلى كائن مختلف، فالباكتيريا المسببة لمرض معين في الإنسان مثلاً تظل كما هي تسبب نفس المرض وأعراضه وعلاماته وتسلك نفس السلوك، الفرق الوحيد يكمن في مقاومتها للمضادات الحيوية التي تحمل جينات مناعية ضدها[١].

لكن لماذا هي انتكاسة وليست تطورًا؟

لأن مقاومة المضاد الحيوي في الغالب تتم من خلال التضحية بأجزاء من الشفرة الوراثية بحيث لا يتعرف عليها المضاد الحيوي، وتقوم الباكتريا بعد ذلك بنقل هذا الجين المبتور إلى الخلايا الجرثومية المجاورة، فالمناعة التي تكتسبها الميكروبات نتيجة عمليات تكسير وليس بناء .

---

(١)Bjِrkholm, B., I. Nagaev, O.G. Berg, D. Hughes, and D.I. Andersson. ٢٠٠٠. Effects of environment on compensatory mutations to ameliorate costs of antibiotic resistance. Science ٢٨٧:١٤٧٩-١٤٨٢.

(من مقال للدكتور هشام عزمي -أخصائي التخدير والعناية المركزة بمعهد ناصر للبحوث والعلاج- على منتدى التوحيد)

وبعد أن يختفي المضاد الحيوي تبدأ السلالات التي لم تفقد أي جزءٍ من شفرتها الوراثية في التكاثر مجددًا، حيث تصبح أقوى من السلالة التي قاومت المضاد الحيوي وفقدت جزءاً من شفرتها.

وخير مثالٍ على ذلك: "عقار الكلوروكوين Chloroquine" المضاد لطفيل الملاريا Malaria؛ حيث تم تطوير هذا العقار في ثلاثينيات القرن الماضي وظل العقار فعالاً طيلة خمسين عامًا، وفجأةً وبحلول الثمانينيات أصبحت تقريبًا كل سلالات الملاريا لديها مقاومة لهذا العقار، فتوقف الأطباء عن وصفه للمرضى. وبعدها مباشرةً ماتت السلالات المقاومة للعقار وحلت محلها الطفيليات الغير مقاومة للعقار؛ إذن فالسلالات المقاومة لم تكن نسخة أكثر صلاحية، وإنما سادت المشهد لفترةٍ قصيرة.

وقد رصدت مجلة الأمراض الوبائية The Journal of Infectious Diseases الصادرة عن أوكسفورد Oxford Journals دراسة خاصة بهذا الشأن خرجت منها بنتيجة أن: طفيل الملاريا المقاوم لعقار الكلوروكوين حدثت له طفرات وتحورات تضمنت فقدان للوظيفة الأصلية لأحد الجينات داخل الملاريا، فالطفرة التي تمنح المقاومة هي أقل صلاحية من النمط العادي[١].

أضف إلى ما سبق أن: هذه الطفرات تحدث داخل نفس النوع ولم يثبت أبدًا أن مثل هذه الطفرات خلّقت مثلاً مادة وراثية جديدة داخل DNA بل لم

---

(١) http://jid.oxfordjournals.org/content/١٨٤/٦/٧٧٠.long .

تُخلِّق حتى موقع ربط واحد بين بروتين وبروتين في غشاء الخلية البكتيرية. تخيّل إلى أي حد وصل الوضع؟[١].

والخلاصة: لا تُنتج تغيرات الهندسة الوراثية أبنية جديدة داخل الخلايا، ولا تزيد المعلومة الجينية، ولا التعقيد البيولوجي؛ وبالتالي يستحيل أن تحلل الطفرات تطور النوع نحو الأفضل فضلاً عن ظهور أنواع جديدة لديها كومة عملاقة منضبطة من القواعد النيتروجينية مشفرة لوظائف جديدة ستظهر في كائن جديد!

وقد نشرت مجلة علم الأحياء النمائي Developmental Biology التطورية مقالاً اشترك فيه مجموعة من علماء الأحياء وانتهى إلى أن: "التغيرات في مجالات الهندسة الوراثية قد تؤدي إلى التكيف مع البيئة لكن هذا لا يعني ظهور الأصلح، ويبدو أن أصل الأنواع -مشكلة داروين- يبْقى مشكلةً غير محلولة"[٢].

وفي اعترافٍ غير مسبوقٍ -ربما-؛ اجتمع أكثر من مائة وخمسون باحثًا في ملف التطور حول العالم في أحد المؤتمرات بجامعة شيكاغو University of Chicago لبحث آليات ظهور الأنواع، وكان السؤال المحوري في المؤتمر حول

---

(١) Michael J. Behe, Darwin's Black Box.

(٢) Scott F. Gilbert, John M. Opitz, Rudolf A. Raff, Resynthesizing Evolutionary and Developmental Biology , Developmental Biology Magazine, Vol١٧٣, P.٣٥٧-٣٧٢.

ما إذا كانت تغيرات الهندسة الوراثية وطفرات الجراثيم كافية لشرح ظواهر التطور الكبير -ظهور الأنواع الجديدة- وكانت الإجابة الواضحة هي: "لا"[١].

إنّ عجزنا عن رصد تطور أولي طيلة عقود من التجارب والاختبارات مع كائنات أولية ومعقدة يعني أن قضية التطور برُمتها خارج إطار العلم التجريبي والرصدي حتى الساعة، وهذا يدفعنا إلى التعامل مع التطور كفرضية قد تبدو مبهجة لبعض أصحاب الأيديولوجيات المادية لكنها تظل عصّية على التثبت فضلاً عن الجزم بصحتها!

(١) http://www.sciencemag.org/content/٢١٠/٤٤٧٢/٨٨٣.extract.

تقارب الشكل الخارجي في الكائنات الحية

من السهولة بمكان حساب سرعة دوران قمر صناعي حول الأرض أو زمن دورانه باستخدام قانون الجذب العام لنيوتن Newton's law of universal gravitation أو ما يُسمى قانون التربيع العكسي، حيث قوة تجاذب أي جسمين في الكون تتناسب طرديًّا مع حاصل ضرب كتلتيهما وعكسيًّا مع مربع المسافة بينهما. كما ينص القانون(١).

ويمكن باستخدام نظرية النسبية العامة General Relativity لأينشتاين رصد انزياح الضوء لحظة مروره بتجمع مجرّي(٢).

أيضًا من خلال معادلات الحركة البراونية *Brownian* motion نستطيع التنبؤ باتجاه الجزيئات داخل السوائل(٣).

هذا الرصد الدقيق والحساب المنضبط للظواهر باستخدام هذه النظريات يسمى بـ"المعيارية القانونية". فسواءً في قانون التربيع العكسي لنيوتن أو النسبية العامة لأينشتاين أو معادلات البروانية كلها يمكن التأكد منها في كل لحظة وإثبات صحة ما تتنبأ به، وبالتالي هي كلها نظريات علمية لها معيارية قانونية!.

أما حين ننتقل إلى نظرية التطور، فإننا لا نمتلك تلك التجربة التي لها "المعيارية القانونية"، وبالتالي لا نستطيع أن نجزم أن التطور نظرية علمية!

---

(١)http://en .wikipedia. org/wiki/Newton٪٢٧s _law_of_ universal_ gravitation.

(٢) http://www.space.com/١٧٦٦١-theory-general-relativity.html.

(٣) http://www.stat.berkeley.edu/~peres/bmbook.pdf.

فلا يوجد داخل التطور مثل هاته الصياغات التجريبية الحاسمة في النظريات العلمية.

ولا نعثر داخل أدبيات التطور إلا على مصطلحات من قبيل " فجأةً – طفا – بزغ – قفز" وهي ألفاظ قد تُستخدم في التعاويذ السحرية لا في الأوراق العلمية ذات المعيارية القانونية.

وسنتعرض في هذا المقال لأحد هذه التعاويذ التي يدفع بها التطوريون في وجه خصومهم، ألا وهي تعويذة: "تشابه الشكل الخارجي للكائنات الحية كدليل على التطور والسلف المشترك!".

وبادئ ذي بدء؛ هذه التعويذة تعني أنه لا يوجد شيء آخر يمتلكه صاحب دعوى التطور، فلولا فقدان الدليل لما احتجّ التطوري بتخمين حمّال أوجه مثل تخمين التشابه.

وحُجة التشابه بين الكائنات الحية ليست حجة علمية تجريبية، وإنما حُجة اصطلاحية لغوية متعلقة بالتعريف الاصطلاحي لمعنى كلمة "تشابه"!

ثم ماذا يفيد التشابه؟

ومِن أين لنا أن التشابه دليل تقارب؟

ولم لا يُستخدم التشابه كدليل على وحدة الصانع –أليس في التشابه بين الكائنات الحية دليلاً مباشرًا للمؤمنين بالخالق الواحد-؟

ولِمَ يفد التشابه التقارب التطوري؟ لِمَ لا يعني التشابه مثلاً: التماثل في الخلق والخِلقة حيث الكائنات الحية خلقت بنظامٍ متماثل ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيۡهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمۡثَالُكُم﴾[1].

ولِمَ يفيد التشابه السلف المشترك ولا يفيد سير العالم بنسقٍ واحد ﴿مَّا تَرَىٰ فِي خَلۡقِ ٱلرَّحۡمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾[2]؟

وما لا حصر له من الأسئلة!

وهنا نحن الآن خارج دائرة العلم تمامًا حيث أخذ الجدال طابع الطرح الفلسفي!

أما داخل دائرة العلم فحتى لو افترضنا أن نظرية داروين صحيحة، فإنَّ أحدنا لن يتأكد نهائيًّا من أنَّ السمات المشتركة المتشابهة في أحفورتين هي نتيجة تحدرهما من أسلافٍ مشتركةٍ، أو نتيجة تقارب أو نتيجة تماثل حيث كلها تخمينات قائمة وقد تصير كلها خاطئة!

فتشابه الهيكل المعدني للسيارات على اختلاف موديلاتها وأصنافها لا يعني بداهةً انحدارها من سلفٍ مشترك، بل هي مُصممة على نَسق معين وليست منحدرة أحدها من الأخرى!

لن تستطيع الأحفورة مهما كانت مكتملة ومُعبِّرة أن تثبت علاقتها بسلفٍ لها أو خلفٍ جاء بعدها!

---

(١) سورة الأنعام، الآية: (٣٨)

(٢) سورة الملك، الآية: (٣)

كتب غاريث نيلسون Gareth Nelson خبير الأحافير بالمتحف الأمريكي للتاريخ الطبيعي كتب يقول: "فكرة الذهاب للسجل الأحفوري من أجل الحصول على استنتاج تجريبي لعلاقة السلف-الخلف بين الأنواع، والأجناس، والعائلات، أو كل ما كان، أو ما يمكن أن يكون، ما هو إلا وهمٌ خبيث"[١].

وإذا نظرنا في سجلات الكائنات الحية على وجه الأرض فمن المُلفت للانتباه أنَّنا نستطيع تصْنيف الكائنات الحيَّةِ لمجموعاتٍ منفصلة، كأنواعٍ وأجناسٍ وعائلاتٍ ورتبٍ وصفوفٍ وشعبٍ وممالك بمنتهى الضبط تمامًا!

ما لغز هذا التمايز الشديد وهذه الخنادق الضخمة الحقيقية بين ممالك الكائنات الحية لو كانت القضية سلف مشترك أوحد؟

أضف إلى ذلك أنك لن تستطيع إثبات علاقة قرابة بين كائنين، إلا في حالة واحدة فقط وهي تطابق الـDNA الخاص بهما وساعتها فقط ستعلم أنك أمام توأمٍ متماثل!

---

(١) From a presentation by Gareth Nelson in ١٩٦٩ to the American Museum of Natural History, quoted in David M. Williams and Maire C. Ebach, "The Reform of Palaeontology and the Rise of Biogeography- ٢٥ Years after 'Omogeny, Phylogeny, Palaeontology and the Biogenetic Law' (Nelson, ١٩٧٨)," Journal of Biogeography٣١ (٢٠٠٤): ٧٠٩.

ومن أجل ذلك وبسبب فقدان الأدلة، يضطر التطوريّون للاعتماد على التشابهات الخارجية بين الكائنات الحية من أجل بناء فرضيات التطور ورسم شجرة الأنساب، فلا يمتلكون داخل العلم ما يؤكد مزاعمهم فيستخدمون في النهاية تخمينات التشابه!

لكن حجة التشابه هذه التي يستخدمها التطوريون تحتوي على إشكالية ضخمة تُفجِّر الوضع كليًّا أمامهم، فهل فكّرت يومًا في تشابه عين الأخطبوط وعين الإنسان؟

هل فكّرت يومًا في تشابه تقنية السونار Sonar التي يستخدمها الخفاش والدلافين؟

هل فكّرت يومًا في تشابه أجنحة الحشرات وأجنحة الطيور؟

كل هذه تشابهات موجودة في الطبيعة، ومع ذلك يقطع التطوريون قبل غيرهم بعدم وجود أي نوعٍ من التقارب بين أصحاب هذه التشابهات!

وهنا تظهر الإشكالية الضخمة! إذ كيف سار التطور في مساراتٍ متباينةٍ منتهى التباين لينتهي إلى نفس النتائج؛ فأجنحة الطيور تختلف تمام الاختلاف في بنيتها وديناميكيتها ومسارها التطوري المزعوم عن أجنحة الحشرات ومع ذلك يؤديان في النهاية المهمة ذاتها وهي الطيران!

إنَّ القدرةَ على الطيران الديناميكي تحتاج لمجموعة معقدة من الأنظمة التي تؤثر في كل عضوٍ من الجسم.

ومع ذلك ظهر الطيران متكاملاً وبمنتهى الضبط وبشكل مستقل تمامًا ودون علاقة تقارب أربع مرات: في الطيور والحشرات والثدييات –الخفاش– والزاحف المجنح pterosaurs .

إذن التشابه لم يكن دليلاً على التقارب!

فلماذا نجزم بالتقارب في كائناتٍ أخرى حين نلحظ ظواهر متشابهة بينهم؟

أيضًا قانون الإبصار يوجد بمثالية في الإنسان –أدق وأنقى عدسة على الإطلاق– وفي حيوان الأخطبوط، ومع ذلك على المستوى التشريحي لا علاقة لعين الإنسان بعين الأخطبوط![1].

فالعين هنا تختلف تمامًا عن العين هناك، فهل سلك التطور طريقان مختلفان ليصل في النهاية لنفس النتيجة بالضبط وبنفس الكفاءة؟

وإذا كان التشابه هنا أيضًا ليس دليلاً على التقارب فلم نجزم أنه دليل على التقارب في صورٍ أخرى؟

أيضًا تكنولوجيا السونار تختلف تمام الاختلاف تشريحيًّا في الخفاش عن طيور الزيت عن الدلافين عن الحيتان وجميع هذه الكائنات تتمتع بهذه التكنولوجيا بمثاليةٍ عالية، ومع ذلك تختلف تشريحيًّا تمام الاختلاف[2].

فهل سلك التطور عشرات الطرق ليصل لنفس النتيجة في النهاية؟

---

(١) http://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC٥٠٩٢٦٤/.

(٢) http://en.wikipedia.org/wiki/Animal_echolocation.

ولو تبصّرت الفراء الشوكي للشيهم Porcupine الأفريقي تراه يختلف تشريحيًّا تمام الاختلاف عن الفراء الشوكي للشيهم الأمريكي![١].

مثال آخر وهو: الباندا العملاقةُ والباندا الصغيرة الحمراء. فإحداهما تُصنف ضمن عائلة الراكون Procyon والأخرى ضمن عائلة الدببة. إذن التشابهات الشديدة بينهما ليستْ نتيجةَ تناظراتٍ تطورية، فنوعي الباندا لمْ يرثا الصفات المشتركةَ بينهما من سلفٍ مشترك[٢].

تطرح مثل هذه الحوادث -وهي كثيرة في الطبيعة- سؤالاً حول إمكانية اعتماد الصفات المتشابهة كأدلَّة معتمدة على العلاقات التطورية!

فهذه أمثلة بسيطة تثبت عجز التطور عن استيعاب وتحليل التشابه بين الكائنات الحية!

فمرةً يقرر التطوريون وجود تشابه ومرةً ينفون، ولا توجد قاعدة لإثبات التقارب لمجرد التشابه إلا التخمين، وعندما يختلف التركيب الداخلي مع وجود التشابه الخارجي ينفون سريعًا التقارب!

هذه هي التعويذة التي تحدّثنا عنها في بداية المقال!

إنها تعاويذ سحرية وتخمينات افتراضية، وليست علمًا له تلك "المعيارية القانونية" القاطعة.

---

(١) http://www.thehatchreport.com/information/african-north-american-porcupines.html.

(٢) تصميم الحياة، د.ويليام ديمبسكي ود.جوناثان ويلز، ترجمة د.مؤمن الحسن وآخرين، دار الكاتب ص١٧٤.

أليس الأدق عقليًّا أن: **نُسلِّم بوجود خالقٍ ضابطٍ للنظم ومتقن لها! خلقها بحكمةٍ وقانونٍ داخلي كلي ذو علمٍ محيط يسيطر على نظم الكائنات الحية المختلفة؟**

أليس الأصح والأقرب أن تكون هذه خطة خلق؟

إن اعتماد التشابه كدليلٍ على السلف المشترك هو مغالطة فلسفية عقيمة، تسمى مغالطة الاستدلال الدائري Circular Reasoning وهي في اللغة تعني: "توقف الشيء على ما يتوقف عليه".

فليس معنى وجود كائنين متشابهين في الشكل المورفولوجي -الإطار الشكلي والبنائي- والتشريحي والوظيفي أن لهما أب واحد common archetype، هذه مغالطة؛ لأن الأصح رصد التفريع من الأب أولاً، أما ما يحدث هنا فهو استدلال دائري وفلسفة تأويلية افتراضية.

فهذا من باب وضع العربة قبل الحصان -كما يقول المثل الإنجليزي-.

ومن أجل ذلك فقد اقترح عالم الكيمياء الدقيقة والفيزياء الحيوية الأمريكي كارل ووس Carl Woese في عام ٢٠٠٢م أنَّ على علم الأحياء أنْ يتجاوزَ المبدأَ الداروينيَّ في السلف المشترك[1].

وكتب في عام ٢٠٠٤م أن: "جذورَ الشجرة التطورية الشاملة هي جذورُ مصطنعةٌ، وذلك ناتجٌ عن الالتزام بالشكل الشجري للحياة رغم كونه غيرَ مناسب"[1].

---

(١) Carl Woese, "On the Evolution of Cells," Proceedings of the National Academy of Sciences USA ٩٩ (٢٠٠٢): ٨٧٤٢-٨٧٤٧.

إن الشيء الذي يبدو واضحًا هو فشل التطور كليًّا في إثبات وجود سلف عالمي مشترك للحياة، كما فشل في تحديد تواريخ موثوقة لظهور الأنواع، كما فشل في تحديد العلاقات التطورية -إنْ كانتْ موجودةُ أصلاً- بين أشكال الحياة القائمة، وفشل أيضاً في إثبات ماهية السلف العالمي المشترك –إن كان موجودا أصلاً- بشكلٍ واضح.

الفشل ثم الإصرار على الفشل هو عنوان دعاة التطور في جميع مراحلهم!

=

(١)Carl R. Woese, "A New Biology for a New Century," Microbiology and Molecular Biology Reviews ٦٨ (٢٠٠٤): ١٧٣-١٨٦ (١٨٦م.س. ص).

انفجار الكامبري

انفجار الكامبري Cambrian explosion هو اصطلاح يُسلِّم به التطوريون، وهو يعني ظهور مفاجئ لأغلب الكائنات الحية في بداية العصر الكامبري Cambrian Period.

حيث تفيد دراسة السجلات الصخرية ظهور معظم شعب الحيوانات المعروفة (أكثر من ٩٥٪) في هذه الفترة القصيرة من عمر الأرض[١].

إن هذا الظهور المفاجئ appearance "at once" لهذا العدد الضخم والمدهش من الهياكل والكائنات الحية الجديدة دفعةً واحدة هو على العكس تمامًا مما تقتضيه الداروينية من التدرج مع الزمن والظهور المتقطع!.

ولذلك فقد أحدث انفجار الكامبري هزة كبرى في عقول التطوريين.

وانفجار الكامبري اكتشفه العالم "والكوت Walcott" في ألاسكا Alaska في بدايات القرن العشرين، لكنه أخفى أبحاثه تلك والتي استغرقت أربع سنوات كاملة وشملت ٨٠ ألف حفرية، وقد علّق جيرالد سكرويدر Gerald Schroeder على هذا الموضوع قائلاً :" لو أراد والكوت ذلك لجاء بجيشٍ من الطلاب من أجل بحث الحفريات ودراستها، لكنه فضّل ألا يتسبب في إغراق سفينة التطور، أما اليوم فقد اُكتشفت حفريات تعود إلى العصر الكامبري في الصين و أفريقيا و الجزر الإنجليزية والسويد بالإضافة إلى جرين لاند، وصار

---

(١)http://www.pbs.org/wgbh/evolution/library/٠٣/٤/l_٠٣٤ _ ٠٢ .html.

انفجار الكامبري قضية مُعاشة في العالم بأسره، ولكن المعلومات تم إخفاؤها قبل أن يكون ممكناً مناقشة طبيعة هذا الانفجار الخارق للعادة"[١].

وتعترف مجلة اتجاهات علم الوراثة Trends in Genetics التطورية المتخصصة بعبء انفجار الكامبري على مفهومنا عن التطور فتقول: " لقد ظهرت الأجهزة و الأعضاء في كل الكائنات الحية في انفجار الكامبري دفعةً واحدة وعلى أعلى قدر من التعقيد، ولم يعد بالإمكان تحليل هذا الانفجار في ضوء نظرية التطور "[٢].

أضف إلى ما سبق أن: عصر الكامبري لم يبدأ بشكل مفاجئ فقط، بل انتهى بشكلٍ مفاجئٍ أيضاً، فلم تظهر شعب حيوانية جديدة منذ انتهاء عصر الكامبري وحتى وقتنا هذا، ولم يثبت نهائيًّا أيّ شكلٍ انتقالي من كائنات ما قبل عصر الكامبري إلى كائنات عصر الكامبري، ولا يوجد أيُّ دليلٍ على التشعب المتدرج للكائنات وهذا كله على عكس ما تتطلبه نظرية داروين تماماً[٣].

ونظراً لهذه الورطة العجيبة يقرر عالم البيولوجيا الملحد التطوري سابقاً - والمحارب للتطور حالياً- جوناثان ويلز Jonathan Wells أن شجرة التطور المزعومة لم تعد تحمل شكل الشجرة على الإطلاق بسبب اكتشاف انفجار

---

(١)Gerald Schroeder, "Evolution: Rationality vs. Randomness http://www.geraldschroeder.com/evolution.htm .

(٢) Trends in Genetics magazine, Volume Feb, ١٩٩٩.

(٣)http://www.bbc.co.uk/science/earth/earth_timeline/cambrian _explosion.

الكامبري فيقول: "تخيل نفسك على أرض ملعب كرة قدم؛ عندما تقف على أحد خطي المرمى هذا الخط يمثل بداية ظهور الحياة على الأرض-طبقاً للداروينية ذاتها-، والآن ابدأ السير في أرض الملعب، قم بتخطي خط العشرين ياردة، ثم الأربعين ياردة ثم منتصف الملعب، وتكون بذلك قد اقتربت من خط المرمى الآخر، وقبل خط المرمى بخطوة واحدة يحدث الانفجار الكامبري الكبير، وتظهر كافة أشكال الكائنات الحية والحيوانات.

في واقع الأمر الداروينية ليست شجرة كما يصورونها؛ إنها مجموعة حشائش مستقلة حيث تظهر الكائنات فجأةً منفصلةً عن بعضها البعض"[١].

فالقضية لم تعد شجرة بل مجموعة "حشائش متناثرة"، إنه وصفٌ رائع لما حدث، إنَّ الظهور المتزامن تقريباً لمعظم الشعب المعروفة يبدو واضحاً في مخططها الجسدي العام ولا يوجد دليل على النشوء التطوري المتدرج .

بكل بساطة انفجار الكامبري يشكل التحدي الأكبر لنظرية التطور المعاصرة.

وإذا دقّقت النظر داخل انفجار الكامبري فلن ترصد سلاسل متدرجة من الأحافير تملأ الفراغ بين الشعب الحيوانية المختلفة، بل تظهر الأحافير كاملة النمو والتمايز والوظيفة من أول ظهورٍ لها في السجل الأحفوري.

إنها مشكلة كبرى تأذن برحيل النظرية ككل. يضع الملحد اللاأدري وعالم الكيمياء الحيوية مايكل دانتون Michael Denton أصبعه على هذه المشكلة التي أرهقت النظرية فيقول: "الحقيقة المتمثلة هي اختفاء الأشكال الانتقالية

---

(١) كتاب القضية الخالق، ول ستروبل، ص٥٧-٥٨.

تقريبًا بين المجموعات التصنيفية الكبرى، وتنطبق هذه القاعدة بشكل شامل على كل الممالك الحية وكل أنماط الكائنات بنوعيها: شديدة الميل للتحجر كالرخويات أو قليلة الميل لذلك كالحشرات. لكن هذا عكس ما يتطلبه التطور الداروويني! قد نستطيع تفسير الانقطاعات بحجج من مثل أخطاء الرصد لكن السمة العامة للانقطاعات تنفي كل تلك التفسيرات"[1].

فالظهور المفاجئ للكائنات الحية يمثل انهيار تام لنظرية التطور، حيث لن يبقى ثمة مبرر لوجودها.

وقد كان تشارلز داروين Charles Darwin يدرك تمامًا أن ظهور قفزات فجائية في السجل الأحفوري سيعني الخلق الخاص -فهذه بديهة عقلية-، ومن أجل ذلك كتب يقول: "إذا ظهرت فجأةً أنواع عديدة من جنسٍ واحد أو عائلةٍ واحدة، فهذا قاتل للنظرية fatal to the theory، خصوصًا مع إدراكنا لبطء التغييرات خلال عملية الانتقاء الطبيعي"[2].

ولو عاصر داروين اكتشاف انفجار الكامبري لربما تخلّى عن النظرية للأبد!

---

(١) Denton, M. (١٩٨٥) Evolution: A Theory in Crisis, p.١٩١.

(٢) If numerous species, belonging to the same genera or families, have really started into life all at once, the fact would be fatal to the theory of descent with slow modification through natural selection.
On the Origin of Species, chapter٩, p.٣٠٢

فلا يوجد بديل ثالث؛ إما تدرج بطيء وإما ظهور مفاجئ -خلق مباشر-، أو بلغة الملحد التطوري الشهير ريتشارد داوكينز Richard Dawkins: "إذا لم تكن تغيرات تدريجية بطيئة فإنها المعجزة (miracle)"[١].

إنها بداهة عقلية لا علاقة لها بكونك ملحدًا أو مؤمنًا.

وحتى يتبين للقارئ الكريم معنى اللحظة الإعجازية في حقبة الكامبري والتي ظهر فيها الخلق المباشر لأغلب أنواع الكائنات الحية على الأرض، فإننا سنتخيل تاريخ الحياة كاملاً على الأرض على شكل فترة ٢٤ ساعة، وحين قاربت الساعة ٢١ وفي خلال دقيقتين فقط انفجرت أغلب أشكال الحياة على وجه الأرض فجأةً في شكلها الحالي المكتمل[٢].

لقد كان داروين يردد دائمًا جملته الشهيرة: "الطبيعة لا تقفز قفزات فجائية"[٣].

فها هو الرصد الأحفوري يثبت عكس ذلك تمامًا!

إن انفجار الكامبري وحده كفيلٌ بإسقاط النظرية ككل، وقد قام عالم الحفريات الصيني ذائع الصيت جي واي تشين J. Y. Chen بدراسات مستقلة على أحافير حقبة الكامبري؛ ليخرج بنتيجة أن شجرة التطور الخاصة بداروين في

---

(١) With out gradualness, we are back to a miracle River out of Eden (١٩٩٥) p.٨٣

.

(٢) طبقًا لحساب عالم البيولوجيا الأمريكي جوناثان ويلز.

Video source: https://www.youtube.com/watch?v=E١٠JwiELDo٠

(٣) Nature takes no sudden leaps On the Origin of Species, p.١٥٦.

وضع المنهار حيث قال: "اكتشاف حفريات الكامبري قلب شجرة التطور رأساً على عقب، يبدو أن شجرة داروين مجرد مخروط مقلوب Darwin’s tree is a reverse cone shape. فقاعدة الشجرة واسعة، ثم تضيق تدريجيًّا، نفس شجرة داروين لكنها مقلوبة"(١).

أما زميله تشو كوي ألجن Zhou Qui Gin الباحث المتخصص في الحفريات فيقول: "لا يوجد تطور ولا تدرج فيما رصدناه، الكائنات الحية ظهرت فجأةً! لقد رصدنا ١٣٦ نوع مختلف تمثل التنوع الرئيسي بين الكائنات الحية ظهرت فجأةً ظهورًا خاصًّا جدًّا"(٢).

هذه كانت خلاصة ما أصدره معهد علم الحفريات والجيولوجيا ببكين حيث يعمل جي واي تشين و تشو كوي ألجن!

---

(١) Darwin’s tree is a reverse cone shape. Very unexpectedly, our research is convincing us that major phyla is starting down below at the beginning of the Cambrian. The base is wide and gradually narrows. This is almost turned a different way.

http://www.freerepublic.com/focus/news/٨٥٤٢٨٨/posts.

(٢) Zhou Qui Gin, a senior research fellow at the site, says (translated), “I do not believe that animals developed gradually from the bottom up. I think the animals suddenly appeared. Among the Chengyiang animals we have found ١٣٦ different kinds of animals. And they represent diversity in the level of phyla and classes. So they sudden appearance makes them very special.”

Ibid, .

خلاصة ما في الأمر: بدون تطور تدريجي نعود إلى المعجزة، ألم يقل داوكينز ذلك!

إذن فلنعترف بالمعجزة –الخلق المباشر-، أو لنترك السجلات العلمية للأبد.

ماذا خسر العالم بظهور التطور؟

الجزء الأول:

حين أجرت قناة الجزيرة الإنجليزية حوارًا مع الملحد التطوري الشهير ريتشارد داوكينز Richard Dawkins لم نكن نتوقع أن يدلي داوكينز باعترافه المدهش حين قال: "أنا ضد الداروينية ولا أُطيقها حين يتعلق الأمر بحياتنا"(١).

ألهذا الحد يستوعب عرّاب الملحدين في العالم ريتشارد داوكينز عبء الداروينية على القيم الإنسانية؟

ألهذا الحد يدرك هذا الملحد أننا لسنا مُفصّلين على طراز داروين؟

بل إنه يقول في كتاب من أشهر كتبه وهو الجين الأناني Selfish Gene أن: "الماضي التطوري لا علاقة له بحاضرنا الأخلاقي العالمي، التطور الدارويني لا يُنتج إلا أمثال هتلر، والمجتمع الدارويني لا يكون إلا مجتمع فاشستي *fascistic* ينتشر فيه التعصب العنصري والتصفية العرقية"(٢).

إن الذي ينتهي إليه ريتشارد داوكينز ويعترف به صراحةً أنه: "من الصعب جدًّا الدفاع عن القيمة الأخلاقية المطلقة على أرضية أخرى غير الدين"!(٣).

---

(١) اللقاء الذي أجرته قناة الجزيرة انجليزي مع ريتشارد داوكينز دقيقة ٤٢.

https://www.youtube.com/watch?v=PAe٨DePq-٤٨.

(٢) Selfish Gene, p.٢, ٣.

(٣) It is pretty hard to defend absolute morals on grounds other than religious ones.

The god Delusion, p.٢٣٢.

لكن دعونا نتسائل؛ فربما نكون مخطئين، أو ربما يكون داوكينز أشهر مُبشِّر بالإلحاد والداروينية متحاملاً على إلحاده:

هل يمكن أن نُثبت قيمة ومعنى ومعيارية أي شيء من منظور تطوري دارورويني؟

هل يمكن أن يحيا الجنس البشري برؤية داروينية للوجود ؟.

أليس الإنسان طبقًا للرؤية التطورية مجرد نمط مادي ثلاثي الأبعاد، وهذا النمط المادي مُستَوعب تماما في الطبيعة، فقوانين الطبيعة هي قوانينه، وتسري عليه الحتمية المادية البيولوجية بمنتهى الحيادية والصرامة؟.

أليس من المستحيل طبقًا للرؤية المادية الاستقلال ببعد آخر متجاوز أو مغاير لما تفرضه البيولوجيا، وإلا لاعتبرنا أن للإنسان أصلٌ آخر ومقدمةٌ أُخرى وبالتالي ينهار التطور؟

أليس من الأصح والأصلح طبقًا للرؤية التطورية المادية الحتمية أن يتنازل الإنسان عن مركزيته في هذا الوجود لحساب الطبيعة المادية؛ لأنها هي الأصل الأوحد؟

فالطبيعة المادية هي المركز ولا يدور الإنسان إلا في فلك قوانينها وحتمياتها!

وبالتالي وبناءً على ما سبق: سيحل محل مركزية الإنسان مركزية الطبيعة باعتبارها المُطلق الأول، وهذا يعني انهيار الإنسان، وبذا يُصفَّى الإنسان -على حد تعبير الدكتور عبد الوهاب المسيري رحمه الله- لحساب الطبيعة، ويتم استيعابه تمامًا ويسقط في هيمنة المادية البيولوجية، ويُصبح أي حديث عن

الإنسان أو قيمه أو مركزيته هو حديث ملوث ميتافيزيقيًّا –مرتبط بالماوراء الذي يحاول الملحد أن يتفاداه–.

وفي النهاية يتحول الإنسان إلى حيوان مادي مجرد ويعود للصراع التطوري الذي دخل به التاريخ!

في هذا الإطار المادي التجريدي الصارم يصبح الحديث عن الإنسان أو "الإنسانية المشتركة" أو القَدَر الإنساني مجرد لغوٌ فارغ، وتتحول شعارات "حقوق الإنسان" إلى سخافةٍ لا معنى لها.

فما معنى حماية المعاقين أو المرضى الوراثيين أو تقديم يد العون لهم في عالم مادي تحكمه الرؤية الداورينية؟

إن محاولة من هذا القبيل تأتي مباشرةً ضد الإنتخاب الطبيعي Natural Selection والبقاء للأصلح Survival for the Fittest.

فإذا كانت الرؤية الداروينية هي الرؤية الصحيحة وكانت حتمياتها هي الأصل الثابت فلن يستوعب الإنسان فكرة حماية المعاق أو تقديم يد العون للضعفاء، بل إن تعقيم المعاقين Sterilization– منعهم من الإنجاب– هو الحل التطوري الأمثل والأوحد.

فالتخلص من المعاقين والمرضى والعجزة والضعفاء هو هدف تطوري، وسمة من سمات الانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح!

ومن أجل ذلك حين أصدر أدولف هتلر Adolf Hitler قائد النازي Nazi والمغرم بالداروينية قراره في ١٤ يوليو ١٩٣٣ بتعقيم ٤٠٠ ألف شاب عن

طريق تمريرهم على تردداتٍ عالية من أشعة إكس حتى يفقدوا القدرة على الإنجـاب، حيث كانوا مصابين بأمراض عصابية كثيرة ربمـا تضر الأجنة، حين أصدر هذا القرار كان يتماشى تمامًا مع الرؤية الداروينية للوجود، ولن يستطع دارويني واحد أن ينتقد ما قام به هتلر[١].

بل إن مشروع تي٤ "Action T٤" الذي قتل هتلر خلاله سبعون ألف معاق وعاجز، كان مشروعًا داروينيًّا بامتياز[٢].

إن أية محاولة لمعاندة هذا الإطار المادي لرؤية هتلر هي محاولة فاشلة؛ لأنها تأتي ضد التطور وضد قوانين الحتمية المادية التي تسري على الوجود.

ألا تؤكد قوانين الانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح والصراع من أجل البقاء صحة ما قام به هتلر؟

ألم يؤكد أشهر مؤرخ للحقبة النازية على الإطلاق آلان بولوك Alan Bullock أن كل المآسي التي ارتكبها هتلر، تأتي مباشرةً من إيمانه التام بصحة التحليل الدارويني للوجود، ولذلك كتب يقول: " كان هتلر ماديًّا قاسيًا وكان يرى أن المسيحية تقف في وجه قوانين الانتخاب الطبيعي، والبقاء للأصلح"[٣].

---

(١) Proctor, Robert N. (١٩٨٨)

Racial Hygiene: Medicine under the Nazis, p.١٩١.

(٢) http://en.wikipedia.org/wiki/Action_T٤.

(٣) Bullock wrote that Hitler was a rationalist and materialist, who saw Christianity as a religion "fit for slaves", and against the natural law of selection and survival of the fittest.

=

فهتلر كان داروينيًّا قُحًّا، هذا هو دين أدولف هتلر الأول والأخير. كما يقول ريتشارد إيفانس (Richard J. Evans)[(١)].

لقد كان هتلر بنموذجه النازي الصورة التطبيقية للمادية التي دعت لها نظرية الانتخاب الطبيعي والبقاء فقط للأصلح!

لقد صنعت الفلسفة التطورية قبرًا يكفي لدفن كل قيم البشر، وكل الفضائل التي يؤسس لها المصلحون عبر التاريخ، فالقيم والأخلاق الإنسانية تصطدم مباشرةً مع أبسط أبجديات التطور.

فالتطور يُسمم كل المعاني النبيلة؛ يقول التطوري جيمس هِلْ James J. Hill: "إن الثروات تُحدَد تبعاً لقانون البقاء للأقوى"[(٢)].

وطبقًا لتايل Tille فإنه: "من الخطأ الشديد مجرد محاولة منع الفقر أو الإفلاس أو مساعدة الضعفاء أو محدودي الإنتاج، مجرد مساعدة هؤلاء خطأ جوهري في النظرية الدروينية؛ لأنه يتعارض أساساً مع الانتخاب الطبيعي وهو جوهر الداروينية"[(٣)].

=

Alan Bullock; Hitler, a Study in Tyranny; HarperPerennial Edition ١٩٩١; p٢١٩.

(١) Richard J. Evans; the Third Reich at War; Penguin Press; New York ٢٠٠٩, p. ٥٤٧.

(٢) Martin, James J. Hill, pp ٤١٤.

(٣)Williams, Raymond. ٢٠٠٠. Social Darwinism. In Herbert Spencer's Critical Assessment. John Offer.

أما هربرت سبنسر Herbert Spencer مؤسس الداروينية الاجتماعية Social Darwinism -والداروينية الاجتماعية تعني: تطبيق الداروينية في العلوم الاجتماعية وتحقيق كل ما مآلاتها-، أتى ليقول: "فكرة وسائل الوقاية الصحية وتدخّل الدولة في الحماية الصحية لمواطنيها وتلقيحهم؛ تعارض أبسط بديهيات الانتخاب الطبيعي، وكذلك مساندة الضعفاء أو محاولة حماية المرضى والحرص على بقائهم"(١).

هذه هي الصورة التي يتيحها التطور، إنها المعادلة الوحيدة المتاحة!

فلا يوجد داخل العالم المادي التطوري ما يُفرح الإنسان أو يُسليه، أو يؤسس لقيَّمه أو يؤسس لمبادئه أو أخلاقياته، يستحيل أن يوجد داخل المنظومة المادية ما يجعل من الإنسان "إنسانًا".

إن هؤلاء الذين نسوا الله قد أنساهم أنفسهم ﴿نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡ﴾(٢).

ماذا خسر العالم بظهور التطور

الجزء الثاني

ذكرنا في المقال السابق كيف أن الرؤية التطورية للوجود قد حفرت قبرًا يكفي لدفن كل قيم البشر وكل الفضائل التي يؤسسون لها عبر التاريخ.

فالقيم والأخلاق الإنسانية تصطدم بجميع دعاوى التطور.

---

(١) Social Status, p.٤١٤-٤١٥.

(٢) سورة الحشر، الآية: (١٩)

فمن بين دعاوى التطور أن: العِرق الأبيض أفضل بيولوجيًّا من الأسود، فالبيض في مرتبة أعلى على سلم التطور! [١].

لكن أليس هذا تأسيسًا قانونيًّا وأخلاقيًّا مباشرًا للفصل العنصري بين البيض والسود داخل المجتمع الدارويني؟

ألا تعطي هذه المقدمة حجة لتفريغ الأمة البيضاء من السود في مرحلةٍ لاحقة، واعتبارهم أجناسًا أدنى؟

ألم تكن هذه الدعوى الداروينية مبررًا لإدخال السود أقفاص الحيوانات Human Zoo وتصنيفهم كدرجة أقل من البشر "حلقة وسيطة"[٢].

أليس رفض هذه العنصرية هو معاندة مباشرة للانتخاب الطبيعي وتمرد مباشر على مبادئ التطور وخيانة لأبسط أبجدياته؟

---

(١) هناك آلاف الأبحاث التي تدعي على العلم تفوق الجنس الأبيض على الجنس الأسود ماديًا وبيولوجيًا، منها قديمًا أبحاث عالِم الإنســـانيـــات الشهير صموئيل مورتن Samuel Morton وأبحاث لويس أجاسي Louis Agassiz الذي كان يقول بأن البيض ليسوا سفاحين حين أبادوا الهنود الحمر، ولكنهم يتبعون قضية حتمية في تشكل الأعراق، فهذه هي حتمية التطور.

وحديثا ظهر كتاب قوس الجرس Bell Curve أكثر الكتب مبيعًا في السبعينـــات، وهو الكتاب الذي يتحدث عن أنه لا فائدة من تعليم السود أو تحصينهم من الأمراض، لأنهم أضعف عقلاً وأفقر ذهنـــًا من البيض ولابد من إنفاق المـــال في أُمـــور أكثر فائدة .

http://en.wikipedia.org/wiki/The_Bell_Curve

(٢) نوقشت هذه المسألة بالتفصيل في مقالٍ سابق بعنوان "حدائق حيوان البشر" ولمن أراد الاستزادة:

https://www.popularresistance.org/deep-racism-the-forgotten-history-of-human-zoos/

أيضًا من بين دعاوى التطور: تفوق الرجل على المرأة ماديًّا؟ وأن الرجل في مرتبة أعلى بيولوجيًّا من المرأة!

فالمرأة طبقًا لأدبيات التطور لها تصنيف مستقل تمامًا في السلسلة الحيوانية عن تصنيف الرجل[١].

ويتحدث التطوريون باستمرار عن وجود فرق جوهري في حجم المخ لصالح الرجل بمقدار ١٢- ١٩ ٪، وكتب كارل بروكا Brucca يقول: إن مخ المرأة أضعف بكثير من مخ الرجل، فحجم المخ الخاص بالمرأة يكاد يطابق ذلك الخاص بالغوريلا[٢].

بل إن المرأة في أدبيات التطور وبسبب طفولية المخ الخاص بها تعتبر خطرًا حقيقيًّا على الحضارة المعاصرة.

(A real danger to contemporary civilization)[٣].

والمرأة طبقًا لداروين لا تصلح إلا لمهام المنزل، وإضفاء البهجة على البيت، فالمرأة في البيت أفضل من الكلب[١].

---

(١) تندرج المرأة تحت تصنيف Homo parietalis بينما الرجل تحت تصنيف Homo frontalis

http://www.rae.org/pdf/dsod_apb.pdf

Love, R., Darwinism and feminism: "The 'women question' in The Life and Work of Olive Schreinr and Charlotte Perkins Gilman," in Oldroyd and Langham, Eds., The Wider Domain of Evolutionary Thought, D:Reidel, Holland, pp. ١١٣–١٣١, ١٩٨٣.

(٢) Gould, The Mismeasure of Man, p.١٠٥.

(٣) Gilmore, D., *Misogyny: The Male Malady*, University of Pennsylvania Press, Philadelphia, p. ١٢٥, ٢٠٠١..

ولا ندري بناءً على ما سبق كيف يستطيع تطوري أن يطالب بالمساواة بين الجنسين داخل المجتمع، ألا يعد هذا مطلبًا متناقضًا تمامًا؟

ألا يعد الحديث عن "حقوق المرأة" خطأ وتمرد على الفكرة الداروينية؟ بل وتوجّه عبثي يقف في وجه التطور وحتميات الطبيعة ؟

ما سبق هو الرؤية التطورية للإنسان بصورتها الحقيقية، فالتطور حرَّر أتباعه من أية أعباء أخلاقية، وإذا حاول التطوريون استمداد قيم غير مادية لإصلاح النسق المعرفي للإنسان ساعتها سيكون هذا اعترافًا بعدم صلاحية التطور كمنظومة مستقلة لتفسير المغزى الوجودي!

أضف إلى ذلك؛ أن التطور زوّد الإمبريالية الغربية بإطار نظري لإبادة الملايين باسم العرقية المادية، والبيولوجية الداروينية، هذا هو التطور عند التطبيق، وهذا أصل معركته وشعارها ودثارها.

ففي سبيل الرؤية التطورية المادية ومن خلال مبرر الجنس الأفضل والجنس الأرقى Favored Race وتنقية الأعراق، قامت حربان عالميتان أُبيد فيهما قرابة مائة وعشرون مليون نسمة، وكانت حروب من الدموية بمكان بحيث أرجعت كلًّا من المنتصر والمهزوم ثلث قرن إلى الوراء، فالحربان العالميتان اللتان أبادتا حوالي ٥٪ من سكان العالم كانتا نزاع مادي برؤية تطورية للوجود، وقد قام

=

(١) **an object to be beloved and played with, better than a dog anyhow.**

Charles Darwin, The Autobiography of Charles Darwin ١٨٠٩-١٨٨٢, New York pp. ٢٣٢-٢٣٣.

الفلاسفة في ذلك الوقت بوضع مبولة وسط باريس بدلاً من تمثال الجندي المجهول كنايةً عن نهاية الحضارة[١].

بل إن جميع الأيديولوجيات الإجرامية التي ظهرت في القرن العشرين من نازية Nazism إلى فاشية Fascism إلى ستالينية Stalinism إلى ماوية Maoism كلها استندت إلى الرؤية التطورية، والتنقية العرقية، وأن هناك أجناسًا أفضل من أجناس!.

وحتى يومنا هذا، ما زال هاجس الجنس الأرقى Favored Race يسيطر على العقلية الغربية بسبب التصور التطوري للبشر، وأن جنسًا له حق السيادة وتطهير بقية الأجناس.

وفي بدايات العام ٢٠١٥ اشتعلت مدينة فيرغسون *Ferguson* بولاية ميزوري الأمريكية بسبب تبرئة جورج زيمرمان George Zimmerman الأبيض والذي قتل الشاب تريفون مارتن Trivon Martin الأسود، مما أثار جدلاً في أميركا بسبب بُعد القضية العرقي، وامتدت المظاهرات لتشمل أنحاء الولايات الأمريكية[٢].

---

(١) كتب القائد النمساوي المجري الجنرال فان هودزاندورف Van Hodzandorf ، القائد الكبير في الحرب العالمية الأولى، بعد انتهاء الحرب كتب يقول: "الحرب قانون الطبيعة ... علينـــا أن ننسى قليلاً ما تدعونـــا إليه الأديـــان".

James Joll, Europe Since ١٨٧٠, peguin books ١٩٩٠ p.١٦٤

أما فريدريك فوربرنارد Frederick Vorbernard وهو أحد جنرالات الحرب العالمية الأولى فقد كتب يقول: "الحرب حاجة أيديولوجية بقدر حاجة الأحياء في الطبيعة للصراع وتُعطي نتائج مُجدية من الناحية البيولوجية".

(٢) http://en.wikipedia.org/wiki/Trayvon_Martin.

ففكرة تمايز الأجناس والتفاضل العرقي موجودة تحت رماد العقل الغربي، وتعود للاشتعال في أية لحظة، كل ذلك يعود إلى هاجس سيطرة الثقافة الداروينية على العقل الغربي.

أقول ذلك ويحضرني كيف عانت أمريكا الأمرين من أجل وصول رئيس أسود للحكم فيها-باراك أوباما-؟!! وكأنهم قاموا بمعجزة كبرى حين وصل للبيت الأبيض رجل أسود، في حين أن مصر كان يحكمها رئيس أسود منذ قرابة نصف قرن من الزمان –أنور السادات- دون أن يُلفت ذلك نظر أحد؛ لأننا نحن- المسلمين- وكما قال مالكوم إكس Malcolm X: نعاني من "عمى ألوان" بفضل تعاليم ديننا، فلا نُميز بين الأبيض والأسود.

قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «**يا أيها الناس ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا لأسود على أحمر إلا بالتقوي**»[1].

وقال –صلى الله عليه وسلم-: «**ابغوني الضُّعَفاءَ، فإنما تُرزقون و تُنصَرون بضُعفائِكم**»[2].

وهنا يكمن معنى الدين الإسلامي، ذلك الدين الذي جاء ليحارب الباطل لا الأشخاص لذواتهم أو للون بشرتهم!

---

(١) السلسلة الصحيحة، رقم (٦/ ٤٥١)

(٢)سلسلة الأحاديث الصحيحة للإمام الألباني، رقم (٧٧٩).

في مقابل ذلك اعتبر الليبرالي الشهير - رئيس الولايات المتحدة السابق - جون كوينسي آدمز John Quincy Adams أن حرب البيض ضد الهنود الحمر هو قانون الطبيعة، ولهذا القانون تطبيقاته الواسعة جدًّا "[١].

فاستئصال طبقة كاملة من الناس، والتنقية العرقية، وتفريغ قارات بأكملها من الأجناس الأدنى –كما حدث في استراليا والأمريكتين– ما كان ليحدث لولا الرؤية المادية للوجود الإنساني.

يقول ريتشارد فيكارت Richard Weikart: "لقد نجحت الداروينية أو تأويلاتها الطبيعية، في قلب ميزان الأخلاق رأساً على عقب، ووفرت الأساس العلمي لهتلر وأتباعه، لإقناع أنفسهم ومن تعاون معهم، بأن أبشع الجرائم العالمية، كانت بالحقيقة فضيلة أخلاقية مشكورة"[٢].

فالأخلاق ثغرة في النظام الطبيعي المادي، حيث لا يمكن إخضاعها لقوانين الطبيعة أو حتميات داروين العضوية، والقيم التي تجعل من الإنسان إنسانًا تسير عكس الطبيعة البيولوجية التطورية أو بمعنى أدق لا علاقة لها بالطبيعة البيولوجية.

وكل المعاني الإنسانية النبيلة التي ظهرت مع ظهور الإنسان توحي بالفعل أن الإنسان جاء بمقدمةٍ سماوية لا بتفصيلة داروينية، ولذا يرفض الإنسان باستمرار إلحاح الداروينية المتزايد على أن الجنس الأبيض أفضل من الأسود، أو أن إبادة

---

(١) Robert Remini, John Quincy Adams (٢٠٠٢).

(٢) Richard Weikart, from Darwin to Hitler, p.٢١٥.

المعاقين والضعفاء خيرٌ للجنس البشري، أو أن الإنسان حيوان مادي، وهذا يؤكد أصالة الظهور الإنساني وأن التطور لا يصلح لتحليل ظاهرة الوجود الإنساني!.

فالإيمان بالإنسان هو توكيد متزايد على أن التطور شيء والإنسان الروح والجسد شيء آخر تماماً.

فالإنسان في حقيقة الأمر هو المركز والطبيعة والمادة هي الهامش ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾[1].

ويوقن الملحد بذلك تمامًا في قرارة نفسه، وإن اضطر لتبني الرؤية التطورية التي تخالف فطرته!!!

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: (٧٢).

الخلق الإلهي

الجزء الأول

إنْ وجدنا مخلوقًا يشبه البطة ورائحته كرائحتها وصوته كصوتها وملمسه كملمسها ويسبح كسباحتها، فسيكون عبء الدليل Burden of Proof على من ينفي أنَّ هذا المخلوق بطة. يحدث الشيء نفسه في أنظمة الكائنات الحية المعقدة بشدة ونرى من خلالها أنَّ عبءَ الدليل يقع على من يريدون نفي الصنع المتقن والخلق الإلهي –التطوريون-.

وقد أصبح من المعتاد أن يطلب منّا هؤلاء التطوريون الصبر إلى حين يستنفدون كل جهودهم في نفي الاحتمالات اللامتناهية للخلق الإلهي.

لكن لا يفترض بالعلم أن يعمل بهذه الطريقة! [١].

ويعتبر أي نظام علامة على الصنع المتقن إنْ احتوى على تعقيد لا يمكن تبسيطه، بحيث إذا تم تبسيطه تفسد الوظيفة الأساسية لهذا النظام، فهنا يُعد التعقيد علامة على "الصنع المتقن".

كمثال على ذلك؛ المصباح الكهربي فهو يتكون من: فتيلة، وسلك من الرصاص يوصل الكهرباء للفتيلة، وغاز خامل يحمي الفتيلة ولا يتعامل معها ولا مع الكهرباء، وزجاج يمنع دخول الهواء أو خروج الغاز الخامل وإلا

---

(١) تصميم الحياة، د.ويليام ديمبسكي ود.جوناثان ويلز، ترجمة د.مؤمن الحسن وآخرين، دار الكاتب ص٢٢٦ بتصرف.

لاحترقت الفتيلة، وقاعدة المصباح وهي التي توصل المصباح بالدواية وتكون مسارًا للتيار الكهربي.

هنا المصباح الكهربي نظام به تعقيد لا يمكن تبسيطه، وبالتالي ففيه دلالة عقلية أولية تفيد الصنع المتقن، والذي ينفي الصنع المتقن عن المصباح أو يفترض ظهوره بالصدفة هو المطالب بالدليل على ذلك!

فالذي صَنع المصباح يعلم تمامًا معنى الكهرباء ومساراتها وفائدة المصباح وحساسية الفتيلة، ولذا وجود المصباح دلالة مباشرة على أن له صانع متقِن، وليس ضرب عشواء لمجرد أن هناك مصابيح مختلفة في شكلها تمامًا عنه!

وبنفس الدرجة من الاستدلال العقلي نجد بعض الزهور مثل زهرة الأوركيدا Orchidaceae تتخذ صورة مطابقة تمامًا لأُنثى النحل، فيأتي ذكر النحل محاولاً الإقتراب من أُنثاه ولا يعرف أنها زهرة، فتلتصق حبات غُبار الطلع في رأسه ويقوم بالعملية نفسها عند أوركيدا أخرى فيقوم بالتلقيح المثالي دون أن يدري![١].

بل إن الأكثر إثارة لكل عاقل أن زهرة الأوركيدا تُفرز نفس الرائحة الخاصة بأُنثى النحل – فيرميون أنثى النحل fermions- وليس شكلها فقط، كل هذا وهي كائن نباتي لا ينظر ولا يتدبر ولا يعي من أمره شيئًا، ورغم هذا التحدي المبهر في زهرة الأوركيدا، فإنها تعيش في توازن بيئي مثالي مع غيرها من الكائنات،

(١)http://www.nhm.ac.uk/nature-online/life/plants-fungi/bee-orchids/.

فلا تطغى عليهم ولا يطغون عليها، فسبحان فاطر الخلق مودع عجيب الصنع في كل شيء!

أليس شكل زهرة الأوركيدا المطابق لأنثى النحل ورائحتها المطابقة لرائحة أنثى النحل منظومة معقدة تقوم بوظيفة متخصصة—التلقيح- وفي هذه المنظومة دلالة مباشرة على الصنع المتقن؟

أضف إلى ذلك أن: بعض الزهور التي بلا رحيق جاذب للحشرات، تأخذ شكل أُنثى الدبور تمامًا كبديل للرحيق، فيأتي ذكر الدبور لتلتصق به حبوب اللقاح دون أن يدري، ويذهب لزهرة أخرى ليكمل مهمته في التلقيح!

هذه الزهور إما تظهر فجأةً ومعها الدبابير ولها نفس شكل أُنثى الدبور أو لا تظهر.

ألا يعد هذا تعقيدًا ودلالةً مباشرة على الصنع الإلهي المتقن؟

ولاحظ أن: خواص الفكر والإدراك واتخاذ قرار هي خواص في قمة العقلانية والحكمة والتدبير، وحتى لو افترضنا أن هذه الزهور تدرك أو تعقل، فهي لن تُغير من أمر شكلها ولا رائحتها شيئًا!

فما بالنا بحساب الزمن – زمن التلقيح – والشكل والحجم الخاص بالحشرة التي ستُقلد شكلها، وإنتاج غبار طلع بالكمية الكافية، وحساب خاصية التصاقه بجسد الحشرة، وضغط كل المورثات في حبة غبار الطلع وتحصينها بجدار سميك مع خفة الوزن في نفس الوقت!

كل هذه الحسابات هي آيات للعاقل يخشع بسببها للخالق العظيم المُبدع ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١).

﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾(٢).

فقد ظهرت هذه الكائنات ذات المنظومات التبادلية المعقدة منسجمةً مع بعضها البعض منذ البدء، كدليل مباشر على الخلق الإلهي والتدبير والحكمة، لكن للأسف لا يتدبر هذه البديهيات إلا القليل ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾(٣).

وحتى تشارلز داروين Charles Darwin كان يهتز لهذا التصميم الإلهي المدهش للمنظومات الحية ثم ينسى أو يتناسى، وعندما سأله دوق آرغيل جورج كامبل George Cambell قبل موته بعام عن أدلة التصميم العجيبة في تزاوج زهرة الأوركيدا قال داروين: "هذه الفكرة كثيرًا ما تعصف بعقلي، ثم هز رأسه وأضاف: وفي أحيان أُخرى تتلاشى"(٤).

---

(١) سورة البقرة، الآية: (١٦٤).

(٢) سورة النمل، الآية: (٨٨).

(٣) سورة النمل، الآية: (٦٦٢).

(٤) "Well, that often comes over me with overwhelming force; but at other times,' shaking his head, 'it seems to go away".

=

أضف إلى ذلك أن أدنى تعقيد في أية منظومة هو في الأصل مرتبة زائدة على مجرد الوجود، فلو وجدت حجرًا منتصبًا –مثل أحجار ستونهنج Stonehenge بجنوب انجلترا– فلن تتردد في إثبات الصانع– لمجرد انتصاب الحجر؛ لأن الانتصاب مرتبة زائدة على مجرد وجود الحجر، فما بالك بالتعقيد والتصميم والصنع المتقن؟

والمتدبر في شأن الخلق يجد أنه لا تخلو منظومة على الإطلاق من قدرٍ من التعقيد، وهنا يجبُ على العقل العملُ مع الدليل المتوافر –الخلق الإلهي–، فهو الطريق الأقصر والأنسب لتحليل ظاهرة التعقيد!

ومجرد المراوغة بحجة أن المستقبل قد يُثبت حججًا واعدة، هذا نوع من الكفر مناطه فجوة مستقبلية لا نعرف عنها شيئًا، وهذا النوع من الكفر يشبه كفر فرعون وإن كان مناط كفر فرعون فجوة ماضية لا يعرف فرعون عنها شيئًا، وإن كان النوعان من الكفر يتعادلان في إيقاف العقل عن العمل!.

﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴾[1].

فليس من العقل في شيءٍ الاحتكام إلى أسباب مادية غير معروفةٍ أو طرق غير مكتشفة لمنع تفسير الظاهرة في إطارها الدلالي على الخالق، إنّ هذا محض تحكم لا

=

Charles Darwin, quoted in Duke of Argyll, “What Is Science?” *Good Words* ٢٦ (١٨٨٥): ٢٤٤.

(١) سورة طه، الآية: (٤٩-٥١)

أكثر، وتعطيل لوظيفة العقل، وإذا كنّا عند هذه المرحلة ومع هذه المعطيات الساطعة نعاند الإيمان بالخالق، فعند أي مرحلةٍ نُسَّلِّم له؟

وتحت أي بندٍ نخلع عن أنفسنا ربقة الكفر به؟

هل عند خلو المُعارِض؟

فالكفار يُعلِّقون المُعارِض بالمستقبل الذي لن نكون فيه، وكفار ذلك المستقبل سيُعلِّقون المُعارِض أيضًا بمستقبلٍ آخر، وإنك لن تجد بين المتفكهين مَن يتفكه كما يتفكه المستقبل بهؤلاء!

﴿وَقَالُواْ لَوۡ كُنَّا نَسۡمَعُ أَوۡ نَعۡقِلُ مَا كُنَّا فِيٓ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾[1].

وحين كتب الملحد اللاأدري كارل ساغان Carl Sagan روايته الشهيرة " تواصل Contact " كان يرصد في هذه الرواية حجة عقلية أولية A-Periori دون أن يدري، وهي أن: العقل يدرك تمامًا لزوم الصانع بمجرد رصد تعقيد أولي بسيط!

وحينها لا يجادل العقل في وجود الصانع بمجرد رصد التعقيد بل يُسلِّم مباشرةً!

ففي هذه الرواية يكتشف مجموعة من علماء الفضاء أثناء بحثهم عن ذكاء خارج الأرض Search for Extraterrestrial IntelligenceSETI سلسلة طويلة من الأرقام الأولية قادمة من الفضاء الخارجي، ولأن التسلسل يفيد قيمة رياضية فلا يمكن ظهوره بالصدفة، وبناءً على ذلك اعتبر علماء الفضاء

(١) سورة الملك، الآية: (١٠)

أن هذا دليلاً مقنعًا على وجود حضارة عملاقة في الفضاء الخارجي تحاول التواصل معنا![1].

-وفي واقع الأمر نحن حتى الآن لم نعثر على شيءٍ من هذا القبيل، فهذه رواية لا أكثر-.

لكن الشاهد من هذه الرواية أن الملكات العقلية الأولية تُقر بحجة التعقيد والنظام كدلالة على الصانع المتقِن.

فمجرد سلسلة من الأرقام الأولية لها قيمة بسيطة أفادت وجود حضارة عملاقة، فكيف ننسب ثلاثة مليارات قيمة رياضية داخل كل خلية من خلايا الإنسان -الجينوم يتشكل من ٣ مليار قاعدة نيتروجينية منضبطة بترتيب على أحسن تقويم داخل كل خلية من خلايا الإنسان- في قمة التعقيد إلى العشواء؟

كيف ننسب تعقيد منظومة تلقيح زهرة الأوركيدا إلى الصدفة؟

كيف نتنكر لبديهيات توجد في كل منظومةٍ حيةٍ حولنا أشد تعقيدًا بملايين المرات من رسالة الحضارة الذكية، ونزعم أن الأولى خبط عماء والثانية حضارة عملاقة؟

إنها قمة السذاجة إن استطعنا ابتلاعها ابتلعنا بعد ذلك كل شيء!

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ﴾[2].

---

(١) Sagan, Carl. *Contact*. New York: Simon and Schuster, ١٩٨٥.

(٢) سورة محمد، الآية: (١٢)

الخلق الإلهي

الجزء الثاني

حين تطالع أية خلية حية لترصد ما بها من عملياتٍ حيوية –بيولوجيا جزيئية Molecular biology–، فإنك بحاجةٍ إلى تكبيرها مئات المليارات من المرات، عند هذا القدر من التكبير تصبح الخلية بحجم مدينة القاهرة الكبرى، وترصد داخلها معدلاً من التعقيد ربما يفوق تعقيد مدينة القاهرة بمرافقها، وساعتها ستكون أمام رصدٍ مباشر للتعقيد والتصميم والصُنع البديع!.

وإذا وصلت إلى غشاء الخلية الخارجي فإنك تشاهد أمامك ملايين البوابات التي تفتح وتغلق بانتظام لدخول وخروج المواد من وإلى الخلية، ويحدث التنسيق التام بين هذه البوابات.

وهذا التنسيق بين البوابات يكون آنيًا –لحظيًّا–، فعندما تدخل جزيئة جلكوز لتغذية الخلية عبر إحدى البوابات تكون معلومة دخولها قد وصلت إلى جميع البوابات الأخرى في نفس اللحظة.

وتستخدم الخلية لنقل المعلومات عبر البوابات بهذه السرعة ظاهرة في فيزياء الكم Quantum Physics تسمى ظاهرة التشابك الكمومي Quantum entanglement حيث تنتقل المعلومة بسرعة آنية معجزة، فلا يحدث دخول عدد زائد من جزيئات الجلكوز إلى الخلية، وهي نفس الظاهرة التي استطاع علماء الكمبيوتر الاستفادة منها في شرائح الكمبيوتر liquid crystal

semiconductor with gates and channels لكن الخلية تستخدم هذه الظاهرة منذ البدء وبمنتهى الإتقان![1].

هنا مبرمج الكمبيوتر استطاع بمنتهى الحكمة والمهارة توظيف ظاهرة علمية فيزيائية في مهمة وظيفية داخل الكمبيوتر، وبنفس القياس العقلي منظومة التواصل بين بوابات غشاء الخلية نتاج حكمة وصنع وليست خبط عشواء كما يفترض الملاحدة!

المهم أننا بعد عبور البوابات يطالعنا على الفور عالم من التقنيات الخارقة والتعقيد المذهل؛ **فنرى**:

١- أروقة لا نهائية شديدة التنظيم والتداخل والتعقيد–الشبكة الإندوبلازمية Endoplasmic reticulum – وهذه الشبكة من الطرق والأروقة تمثل طرق النقل الرئيسية داخل الخلية إلى المصانع والعضيات والنواة والمخازن وأماكن النفايات.

وتؤدي الأروقة إلى:

٢- بنك الذاكرة المركزي في النواة DNA.

٣- مصانع تركيب البروتينات –الريبوزومات Ribosome –.

٤- وحدات إنتاج الطاقة –الميتوكوندريا mitochondria –.

٥- مصانع الجزئيات المتخصصة –جهاز جولجي Golgi apparatus– .

---

(١) http://www.theantiagingdoctor.com /٧٢NewBiology and Trans formation.htm.

٦- مناطق حرق النفايات والمخلفات والزائد عن الحاجة والميكروبات- الليسوسومات Lysosome-.

٧- وحدات التخطيط المركزي -السنتروسوم Centriole - التي تدير انقسام الخلية وظهور الأهداب.

٨- مخازن الغلال -الفجوات العصارية Vacuole- حيث تُخزن الأطعمة الزائدة.

٩- مصانع إنتاج الحمض النووي RNA -النوية Nucleolus-.

وما لا حصر له من العضيات التي ما زلنا نكتشفها حتى الساعة ونرصد عجائبها![1].

ولو وصلنا إلى نواة الخلية عبر إحدى هذه الطرق والأروقة، فإننا سنصطدم ببواباتٍ من نوعٍ خاصٍ جدًّا تحيط بالنواة من كل جانب، فلا تقبل أي زائرٍ؛ لأنها مركز برمجة الخلية، بينما تُرحب دومًا بإنزيم البوليمريز polymerase الذي يحمل دائمًا معه رسائل تصنيع البروتينات، فجميع الطلبات التي يحتاجها الكائن الحي من البروتين توجد مشفرة في نواة الخلية داخل شريط الـDNA بنظام التشفير الرباعي CGTA وهذا التشفير يملأ ١٠٠٠ مجلد بواقع ٥٠٠ صفحة لكل مجلد - ٣ مليار حرف - كلها موجودة في مساحة ١ على ١٠٠٠ من الملليمتر مُلتف على نفسه ١٠٠ ألف لفة، في ومضة من ومضات إعجاز الخلق الإلهي!

---

(١)http://bioserv.fiu.edu/~walterm/FallSpring/review١_fall٠٥ _chap_cell٣.htm.

وحين يصل إنزيم البوليمريز إلى نواة الخلية فإنه يقوم بفتح شريط DNA كالسوسته ليُخرج البيانات، وهذا الفتح السريع ربما يؤدي إلى الحرق لكن الأمر مُعد بعناية والتنظيف والتبريد أولاً بأول لا يتوقف- حيث توجد إنزيمات التبريد داخل نواة الخلية-، ويقوم الإنزيم بفتح الجزء اللولبي من الـ DNA ويبقيه مفتوحاً حتى يتم استخراج كافة المعلومات – المُشفرة - لتصنيع البروتين ولا يتم فتح أية أجزاءٍ أخرى لا حاجة إليها[١].

وبعد الحصول على الشفرة المطلوبة لتصنيع البروتين المحدد، فإن عضيات RNA الرسول تقوم بحمل الشفرة إلى الريبوزوم – مكان تصنيع البروتين – في السيتوبلازم cytoplasm، وفي أثناء الذهاب إلى الريبوزوم فإن المسافة طويلة نسبيًّا، وبالتالي يكون عُرضةً للتشوه لذا يُحاط دائمًا بإنزيمات الحماية والأمان[٢].

وما أن تصل شفرة تصنيع البروتين إلى الريبوزوم تظهر مشكلة جوهرية، فلُغة المعلومة في الDNA هي لغة الكودون codon المُكون من ٣ حروف – قواعد نيتروجينية –، في حين لُغة الحمض الأميني هي لُغة من ٢٠ حرف٢٠ – نوع حمض أميني –، ولأجل ترجمة لغة الكودون إلى لغة الحمض الأميني فإنه يوجد في الريبوزوم قرابة ١٠٠ جزيء يختص بالترجمة.

---

(١) Friedberg EC (February ٢٠٠٦). "The eureka enzyme: the discovery of DNA polymerase". *Nat. Rev. Mol. Cell Biol.* ٧.

(٢) http://www.britannica.com/EBchecked/topic/٦٠٢٥٤٢/ transfer -RNA-tRNA.

وبعد الترجمة المتخصصة تتحول الشفرة إلى كائن ثلاثي الأبعاد يقوم بوظيفة يُسمى "البروتين"[١] .

تعمل كل الآلات والعضيات السابقة والمشابهة للروبوتات بشكلٍ متزامن جيئةً وذهاباً بين كمٍ هائلٍ من المنتجات والمواد الأولية على طول الطرق، لكن كل شيءٍ يتحرك هنا بدقةٍ وتناغم.

بالفعل إن مستوى التنظيم الكامن في الحركات المتناسقة للعديد من الأشياء على طول تلك الأقنية -بانسجامٍ تام- لأمر يذهب العقول.

ناهيك عن التخصصية الشديدة داخل كل عضية من عضيات الخلية وكأنك أمام مصانع مستقلة، لكن أن تخرج من كل هذه الأنظمة بنتائج مثالية لمصلحة الكائن الحي لهو إعجاز يفوق كل ما نستطيع أن نسطره من كلمات.

وفي هذا العرض المتأني لنشاطات العضيات الخارقة؛ ندرك بسرعة أنه بغض النظر عن كل المعرفة المتراكمة لدينا عن علوم الطبيعة والهندسة، فإن مهمة تصميم حتى أبسط هذه العضيات أمر خارج عن مقدرتنا بشكلٍ كامل.

فنحن بكل ما نملك من علومٍ عملاقة ومصانع جبارة وجامعات كبرى نعجز عن إنتاج هرمون واحد من الهرمونات التي تفرزها الخلية، فلا نتنج الهرمون -كالإنسولين insulin لمرضى السكر- إلا من خلال الاعتماد التام على منظومات الكائنات الحية.

---

(١) http://www.elmhurst.edu/~chm/vchembook/٥٨٤proteinsyn .html.

فمع علمنا التام بتركيب الهرومون وشكله الهندسي ومراكز تصنيعه، فإننا مع ذلك نعجز عن توليده دون الاعتماد على عمليات حيوية داخل كائن حي سواءً وحيد الخلية كالباكتريا أو متعدد الخلايا كبعض الحيوانات.

المقصود من كل ما سبق أن:

الإشارات كلها توحي لنا بشكلٍ مباشر بوجود الصنع المتقن.

ولا ندري لماذا يرفض التطوريون قضية الصنع المتقن؟

ألا تُخضع كل النظريات العلمية نفسها للتجارب الصارمة، فليعتبروها نظرية إلى أن يستطيعوا دحضها -ولن يفعلوا-!

إن العلم مشروعٌ جريء؛ فهو يقوم بالمخاطرات ويتحمل تكلفة القيام بتلك المخاطرات لأنه على اتصالٍ دائم بالدليل التجريبي، ولذا يمكنه أن يصحح نفسه بنفسه في ضوء الحقائق الجديدة.

وإذا كان العلم المادي يعترف بالفشل الذريع في تفسير أصل الحياة وتفسير ظهور الخلية، فما المانع أن يُقر العلم بالصنع المتقن كقضية مفسرِة لأصل الحياة، وليضع العلم قيدًا ثابتًا أنه ما أن ياتي تحليل مادي متكامل يستطيع تفسير نشوء الحياة سيتم التنازل ساعتها عن الصنع المتقن!

وبما أن الخلية الحية منظومة معلوماتية عالية الإتقان، وطالما أن طرح الصنع المتقن مبني على المعرفة بدلاً من الجهل، فهو مشروع علميًّا.

لاحظ أن هذا الاحتمال بالذات يُظهر أن الصنع المتقن قابل للاختبار –وبالتالي فهو قضية علمية-، فالطريقة الوحيدة لتحديد صحة أية فرضية هي من خلال الاعتراف بأنها خيار علمي حي، ويجب إخضاعها لخصائص العلم شديدة الغربلة والفحص.

لكن للأسف الشديد الحال اليوم هو رفض الصنع المتقن ابتداءً بسبب مقدمات مادية إلحادية لا يرغب مُنَظِّروها في التخلي عنها، رغم فشل تلك المقدمات المادية في الإجابة عن الأسئلة الجوهرية مثل: كيف نشأت الحياة؟ وما مصدرها؟ وما هي الحياة؟ وكيف حدث الانتواع المفاجئ للكائنات الحية في فترة بداية عصر الكامبري Cambrian period القصيرة نسبيًّا؟ وكيف ظهرت هذه الأنظمة عالية التعقيد؟

مشكلة التطوريين عمومًا أنهم يعيشون على مبدأ فرِّق تسد، فإذا ذكرت لهم تعقيد الخلية الشديد فإنهم ينقلونك إلى خلايا أبسط، مع أن أبسط الخلايا الحية على الإطلاق تحتوي على آلاف البروتينات المتخصصة.

إن الخيال مجاني؛ وقوام ردود التطوريين قائمة على خيالاتٍ لا حقائق، وفروضٍ لا رصد، واحتمالاتٍ لا ثوابت؛ بينما قوام الصنع المتقن على حقائق وبديهيات ومسلمات عقلية ورصد إعجازي لكل منظومةٍ حية.

وها نحن ندعو في نهاية هذا المبحث عن التطور إلى الدفع بالعلم باتجاه تحرير قضية الصنع المتقن، **ولتكن هذه الدعوة معالجة جديدة لتحليل ظهور الكائنات الحية على وجه الأرض، ولتُخضع نفسها لمقصلة العلم التجريبي بالمعطيات التي أوردناها في المقالات السابقة**، وإن كنّا ندرك أن دعاة المادية وإن صادفتهم هذه الدعوة فلن يعيروها اهتمامًا؛ لأن مقدماتهم الاعتقادية تأبى عليهم ذلك، ولأنهم كما قلنا منذ البداية يريدونها "مادية إلحادية" ولذا لن يقبلوا بالبديل، وإن كان أقوى حجةً وأرسخ قدمًا وأثبت أدلة.

فلله الأمر من قبل ومن بعد

﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱدَّٰرَكَ عِلْمُهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّنْهَا ۖ بَلْ هُم مِّنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا تُرَٰبًا وَءَابَآؤُنَآ أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ ﴿٦٧﴾ لَقَدْ وُعِدْنَا هَٰذَا نَحْنُ وَءَابَآؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ قُلْ سِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾

[سورة النمل : ٥٩-٥٦]